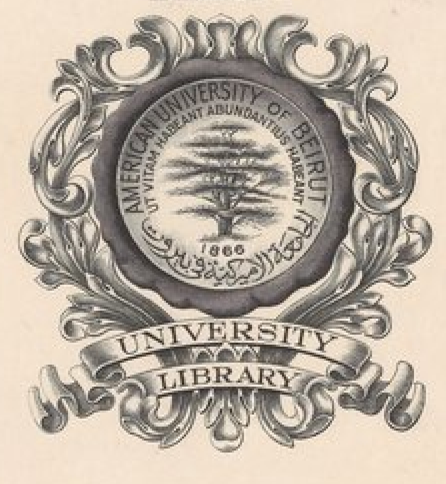
الصمادحي

الجمانة في ازالة الرطانة


AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT
UT VITAM HABEANT ABUNDANTIUS HABEANT
1866
UNIVERSITY
LIBRARY


تجليد صالح الدقر

الجمانة
في إزالة الرطانة

مطبوعات المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة تصدر بإشراف شارل كونس مدير المعهد
مجموعة نصوص عربية ودراسات إسلامية — العدد التاسع

الجمانة
فى إزالة الرطانة

بحث فى لغة التخاطب فى الأندلس وتونس

لبعض علماء القرن التاسع الهجرى

مهّد له وحققه وعلّق عليه
حسن حسنى عبد الوهاب الصمادحى
عضو المجمع المصرى للغة العربية



القاهرة
طبع بمطبعة المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية
١٩٥٣

توطئة

من بين كتب آداب اللغة العربية يوجد صنف من التآليف غزير المادة كبير الفائدة للباحثين عن أصول اللغة وتطورها فى خلال العصور التى انتشرت فيها لغة الضاد من سِيف آخر المغرب الأقصى إلى أطراف المشرق ، ونقصد بذلك التصانيف الموضوعة فيما يسميه النحاة (لحن العامة أو خطأ العوام) .

ويمتاز هذا النوع من التأليف بطريقة إنشائية ، إذ أنه يتعرض فى الغالب لخطأ المتكلمين باللهجات العربية ، الدارجة وما يوجد فى ألفاظها من اللحن بالنسبة للفصحى ، وأسلوبه مبنى على عبارة : « يقولون (أى العوام) كذا . . . والصواب أن يقال كذا . . . »

والواقع أن أصحاب تلك المعاجم جمعوا عدداً عظيما مما تخطئ فيه لغات التخاطب ، ونصوا على اعوجاجها ، وأرجعوها إلى أصولها الفصيحة . لكن بدون أن يذكروا العلل الأساسية التى أدت بالعوام إلى ارتكاب ذلك اللحن ولا إلى العوامل النطقية التى حملت على التحريف ، واستعمال بعض الحروف بدلا من غيرها [1] .

ولسنا ممن ينتقد على من تقدم من واضعى تلك المعاجم طريقتهم فى البحث ، إذ أن مقصدهم الأصلى كان إصلاح لغة التخاطب فى زمان ما وفى صقع ما ، ولم يكن البحث عن أسباب تطور اللغات ، ونواميس تغيّر اللهجات ، وتأثير الألسنة المتقدمة فى تلك البلاد على اللغة المحتلة مكانها فى النطق والتراكيب والأوضاع ، كما يفهم اليوم العلماء المعنيون بتلك الأصول .

(1) كان زميلنا عيسى اسكندر المعلوف حصر جانباً كبيراً من كتب (لحن العوام) بين قديمها وحديثها ونشر قائمتها فى مجلة مجمع اللغة الملكى (الجزء الأول ص ٣٥٠ والجزء الثالث ص ٣٤٩) ، وها نحن نذكرها هنا على سبيل الإشارة أمهات الكتب القديمة من نوعها التى وقع نشرها فى الطباعة :

١ — لحن العامة « للكسائى » .
٢ — الفاخر فيما تلحن فيه العامة « للمفضل بن سلمة » .
٣ — أدب الكاتب « لابن قتيبة الدينورى » .
٤ — المعرب « للجواليق » .
٥ — الأمثال العامية البغدادية « للطالقانى » .
٦ — درة الغواص « للحريرى » ، وشرحها « للخفاجى » .
٧ — شفاء الغليل ، فى الدخيل « للخفاجى » .

ومهما يكن من الأمر ، فإن المصنفات العربية من هذا النوع ، قد حوت جانباً لا يستهان به من الألفاظ العامية والكلمات المولدة والمعرب والمحرف والدخيل وما إليه .

على أن المتداول من كتب المتقدمين فى « لحن العوام » قليل جداً بالنسبة لما وضع فيها ، لا سيما إذا اعتبرنا أنه لم ينشر من هذا القليل ، إلا النزر اليسير ، بحيث بقى الجانب العظيم بدون طبع ، أضف إلى ذلك أن ما ظهر منها لا يتعلق بلهجات البلاد المغربية وإنما هو خاص — فى الغالب — بأغلاط العالم العربى الشرقى .

أما لو أردنا استقصاء ما ألفه علماء المغرب فى « لحن العامة » لطال بنا المقال . ونحن إذ طرقنا هذا الباب ، يجمل بنا أن نورد أسماء بعض الكتب المعتمدة التى وضعها علماء المغرب العربى فى هذا الفن من اللغة ، ولنبدأ بلهجة الأندلس . فقد جاء فيها :

١ — « لحن العامة » لأبى بكر محمد بن الحسن الزُبَيْدي كبير نحاة الأندلس المتوفى بقرطبة سنة ٣٧٩هـ (٩٨٩م) وهما كتابان ، كبير فى جزأين ، وصغير فى جزء واحد . وكلاهما فى الأخطاء الحاصلة فى لغة التخاطب بذلك الصقع ، وقد اعتنى غير عالم من لغويى الأندلس بهذا التأليف فشرحوه وانتقدوه وعلقوا عليه بما يناسب ، فمن ذلك :

٢ — « الرد على الزبيدى فى لحن العوام » تأليف محمد بن أحمد بن هشام اللخمى السبتى من أبناء سبتة وقرأ على أبى بكر بن العربى بالأندلس وعلى أبى طاهر السلفى بالاسكندرية ، وله تصانيف كثيرة فى علوم العربية ، وكان معاصراً للحريرى وللجواليقى ولابن برّى وغيرهم من كبار اللغويين ، وكان في قيد الحياة سنة ٥٥٧هـ (١١٦٢م) وقد يشتبه اسمه على كثير من المصنفين ، فيظنون أنه عبد الله بن هشام المصرى المتوفى سنة ٧٦١هـ (١٣٦٠ م) . وقد تعرض ابن هشام السبتى فى كتابه هذا ، إلى الأوهام الحاصلة للزبيدى ، فأصلح أغلاطه وزاد على ما رواه من خطأ العوام ، كما تتبع أخطاء تأليف ابن مكى الصقلى الآتى ، ومنه نسخة قيمة بمكتبة الاسكوريال رقم ٤٦ .

٣ — « المَدْخَل فى تقويم اللسان » تأليف على بن محمد الغافقى ، ويعرف بابن الشارى . تضافر على تأليفه مع صاحبه محمد بن حسن بن عطية ، وكلاهما من علماء القرن السابع (الثالث عشر للميلاد) — وجمعا فيه كلام من تقدمهما ، يعنى الزبيدى وابن هشام السبتى ، وزادا عليه زيادات حسنة .

٤ — « إنشاد الضَوَآل ، وإرشاد السُوْآل » تصنيف محمد بن هانئ اللخمى السبتى ، المتوفى فى جبل طارق سنة ٧٣٣هـ (١٣٣٢م) — وهو غير محمد بن هانئ الشاعر المشهور — وقد رتب فيه كتاب ابن هشام المتقدم وعلق عليه مما جعله كالتتمة له .

٥ — « إيراد اللآل ، من إنشاد الضوآل » ويعد كالاستدراك على الكتاب المتقدم ، وضعه الأديب الأندلسى أبو جعفر أحمد بن على بن خاتمة الأنصارى المولود بالمرية سنة ٧٢٤هـ (١٣٢٤م) المتوفى بعد سنة ٧٧٠هـ (١٣٦٩م) ثم جاء بعده بعض نحاة الأندلس المجهولى الاسم واختصر المستدرك المتقدم ، وقد طبع هذا الاختصار الأخير بعناية المستعرب الفرنسى كولان G. S. Colin فى مجلة هسبريس *Hesperis* ج ١٢ سنة ١٩٣١ .

٦ — « الفوائد العامة ، فى لحن العامة » تأليف أبى القاسم محمد بن أحمد بن جُزَىّ الكلبى المتوفى سنة ٧٢١هـ (١٣٤٠م) وهو أحد شيوخ لسان الدين بن الخطيب (راجع نفح الطيب طـ . بولاق ج ٣/٢٧٢) .

هذا وقد أغفلنا تسمية من لم يستحق الذكر من مصنفى مجاميع الأدب ، ممن تعرضوا إلى اللهجة العامية بالأندلس .

ثم لم يكن نحاة المغرب — تونس والجزائر ومراكش — بأقل عناية من علماء الأندلس بلحن العامة ، وها نحن أولاء نشير هنا إلى ما وقفنا عليه من تصانيفهم فى هذا الخصوص .

٧ — « تثقيف اللسان ، وتلقيح الجنان » تأليف أبى حفص عمر بن خلف الصقلى من كبار علماء

بلرم انتقل إلى إفريقية بعد استيلاء النُّرْمَان على جزيرة صقلية وولى قضاء مدينة تونس ، وبها كانت وفاته فى النصف الأخير من القرن السادس للهجرة ، وكتابه هذا من الأهمية اللغوية بمكان ، إذ أنه يبحث فيه عن لحن اللهجة العامية بجزيرة صقلية ، حينما كانت عامرة بالمسلمين . ولغة تخاطبهم عربية مغربية مع بعض الفوارق التى تميزها عن غيرها . وقد نقل عن « تثقيف اللسان » القاضى ابن خلكان فى وفياته (ترجمة ابن المقفع) وكذا المحدث يحيى النووى فى تهذيب الأسماء (فى اسم إبراهيم ط . مصر ١ / ٩٨) .

ومن حسن الحظ أنه كان يوجد منه نسخة قيمة فى مكتبة صديقنا العلامة الشريف عبد الحى الكتانى بفاس .

٨ — « الرد على تثقيف اللسان » المتقدم ، من وضع معاصره اللغوى الكبير إبراهيم بن إسحاق الأجدابى اللواتى مؤلف « كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ » من علماء أواخر القرن السادس للهجرة . قال التجانى التونسى بعد أن أشاد بذكر الكتاب المذكور : « وأكثر تآليفه ملكتها بخطه ، وكان — رحمه الله — من أحسن الناس خطا » (راجع رحلة التجانى ط . تونس ص ١٨٠) .

٩ — « لحن العوام ، فيما يتعلق بعلم الكلام » تصنيف أبى على عمر بن محمد بن خليل السكونى الإشبيلى المهاجر إلى تونس والمتوفى بها سنة ٧١٧هـ (١٣١٧م) تناول فيه أغلاط العامة فى أيمانهم وبِدَعهم وعوائدهم . موجود بالمكتبة العبدلية الزيتونية بتونس رقم ٢٢٢٩ ويخرج فى خمسين صفحة .

١٠ — « الجمانة فى إزالة الرطانة » وهى التى ننشرها هنا . حررها مؤلفها فى تونس أواخر القرن التاسع للهجرة .

١١ — « مقدمة تقويم المنطق الحضرى ، بكفّ اللسان المضرى » تأليف الشيخ المرحوم سيدى محمد النيفر ، أحد أساتذة جامع الزيتونة ، طبع بالرسمية التونسية سنة ١٣١٢هـ (١٨٩٤م).

جمع فيه قسطاً وافراً من الفروق الموجودة بين لغة التخاطب الحضرية لتونس، وبين الفصحى، وأبان وجوه إصلاح الأغلاط والأوهام، وإرجاعها بطرق المعالجة إلى الأصل المضرى .

هذا سوى مايوجد متفرقاً هنا وهناك فى غضون كتب اللغة والأدب والرحلات، مثل « الواسطة ، فى أخبار مالطة » لأحمد فارس الشدياق، فقد أورد فيه فصلا ضافياً عن لهجة جزيرة مالطة العربية، وكذا « صفوة الاعتبار» للشيخ محمد بيرم التونسى .

أما المصنفات الأوربية، من فرنسية وانكليزية وألمانية وإيطالية، الباحثة عن اللهجات العربية المنتشرة فى بلاد شمال إفريقية فهى كثيرة جداً ومتنوعة إلى حد بعيد ، وأهمها تآليف صديقنا اللغوى المحقق وليَم مَرْسى Prof. William Marçais عن « لهجة طنجة » و « لهجة تلمسان » و « لهجة أولاد إبراهيم » واللهجة التونسية فى كتابيْه الكبيريْن : أحدهما Textes Arabes de Takrouna وثانيهما Textes Arabes d'Al Ḥamma ؛ ثم المعجم الضخم للهجة التونسية الذي هو الآن تحت الطبع فى باريس والشامل لعدة أجزاء .

وهناك تصانيف المستعرب الألمانى الدكتور هنس شتوم Dr Hans Stumme, ومنها : كتابه *Tunisische Märchen und Gedichte*, Leipzig, 1893 وهى أجزاء متنوعة فى غاية الإفادة .

مؤلف « الجمانة »

بعد بحث طويل وتنقيب فى كتب طبقات الرجال والتراجم لم نتوصل بعد إلى معرفة مؤلف رسالة « الجمانة فى إزالة الرطانة » التى نقدمها اليوم للنشر ، وغاية ما نعلمه من أمره أنه يلقب « بابن الإمام » وأنه كان يعيش بحاضرة تونس أواخر القرن التاسع أو أوائل العاشر للهجرة ، ويستدل على ذلك من استشهاده بكلام الطبيب التونسى محمد بن عثمان الصقلى ونقله عن كتابه « المختصر الفارسى » ومات هذا الحكيم فى حدود سنة ٨٢٥ وكذلك ذكره لشعر بدر الدين الدماميني المصرى المتوفى فى سنة ٨٢٧ هـ .

والذى يلوح لنا أن المؤلف كان إما من أبناء تونس ممن سكن حيناً بلاد الأندلس (وخاصة غرناطة) أو أنه من مهاجرى الأندلس إلى البلاد التونسية .

ويؤيد هذا الظن أنه كثيراً ما يورد من أغلاط عامية الأندلس — وهو مما نبهنا عليه فى مكانه — مثل إيراده كلمات (رِحَى — نِوَى — نِدَى) و (الدِجَاجَة) بكسر الدال عوض الفتح وهى لغة أندلسية خاصة ، وقد ينطق به مفتوح الدال فى اللهجة التونسية قديماً وحديثاً .

ثم إنا نراه من ناحية أخرى يذكر استعمال العامة لكلمة (الثَنِيَّة) بمعنى الطريق مطلقاً ، وهى لغة أهل تونس خاصة إذ أن لفظ الثنية بهذا المعنى لا يوجد إلا فيها دون غيرها من اللهجات المغربية — وقد نبهنا على ذلك كله أثناء التعاليق على الأصل بأسفل الصحائف .

لا مراء أن مؤلف رسالتنا هذه لم يكن من مقصده وضع بحث علمى فى تكوّن اللهجة الدارجة بين أبناء البلاد الافريقية فى عصره بحيث يذكر فيها تطور تلك اللهجة ومميزاتها ومقارنتها بغيرها من اللهجات الجارية فى بقية الأصقاع العربية شرقاً وغرباً والاستشهاد على ذلك بآثار الأدب الشعبى والأمثلة المتداولة على ألسنة السكان .

وإنما وجّه اهتمامه إلى تقويم ما يسميه اللغويون « لحن العوام » والإشارة إلى نقط من الخطأ فى التلفظ ببعض الكلمات أو فى تصريف بعض الأفعال المعتلة والناقصة ، وهى طريقة قديمة فى نقل اللهجات العمومية المتكلم بها فى العالم العربى . طريقة سلكها غير واحد من كبار النحاة وعلماء اللغة كالكسائى والفراء وابن السكيت وابن قتيبة وابن دريد وغيرهم ، وصنف كل منهم فى ذلك التصانيف الممتعة كما أشرنا إليه فيما سلف .

وهذا الأسلوب على ما فيه من نقص وتقصير بالنسبة إلى البحث التحليلى الفنى عن منشأ اللهجات العامية وما يعتريها من التطور والانقلاب ، لا يخلو على كل حال من فائدة تدلنا على تدرج اللهجات ككائن حى خاضع لقواعد النشوء والتغيّر ، ومن جهة أخرى تكشف لنا الغطاء عن حياة الشعب المتكلم بها وعن درجته فى مستوى التمدين باعتبار لغته كمرآة صقيلة تنعكس فيها أخلاقه وآدابه وحياته المنزلية .

ومهما يكن من الأمر . فان رسالة « الجمانة » هذه ترشدنا على ما هى عليه إلى أمور لم نكن لنهتدى إليها لولا وجودها ؛ منها أنها :

تفيدنا على الإجمال إلى ما كانت لغة التخاطب فى حاضرة تونس والأندلس فى القرون الثامن والتاسع والعاشر للهجرة ، ومنها يظهر أن اللهجة الحضرية فى إفريقية لم تتغير كثيراً لما هى عليه الآن ، إذ أن ما نبه إليه المؤلف من اللحن الدارج ما زال موجوداً إلى الزمان الحاضر .

كما يستفاد منها أيضاً أن اللهجة التونسية كانت — ولم تزل — تنقسم إلى قسمين كبيرين : لسان الحضر المتكلم به فى المدائن الكبرى والقرى ، ولسان البدو الذى يتخاطب به الأعراب سكان الأرياف داخل البلاد .

وهذا التقسيم عينه هو المشاهد إلى اليوم فى المملكة التونسية كما سنبينه بعد فى غير هذا الموضع .

ولا شك أن المؤلف قصد قبل كل شىء التنبيه على ما فى لغة التخاطب التونسية من اللحن ، لكنه لم يعتبر فى بحثه إلا اللهجة الحضرية الشائعة وقتئذ فى العاصمة نفسها وفى المدائن الإفريقية

الكبيرة كالقيروان وسوسة وصفاقس والمهدية ، ولم يلتفت إلى ما كان – وما زال – جارياً من الكلام على ألسنة البوادى الرحل ، وكانوا إذا لم نقل القسم الأكثر من السكان فهم على أقل تقدير نصفه المنتشر فى داخل البلاد .

فيظهر أن مؤلفنا اقتصر على تلك اللهجة الحضرية المتوارثة من لدن عرب الفتح – وهم من قبائل عدنان وقحطان – ومن عرب الشام (غسان وغيرهم) ثم من كلام عواصم الإسلام الأولى أعنى دمشق قاعدة الأمويين وبغداد عاصمة بنى العباس .

ولو أعار مؤلفنا ولو لفتة بسيطة إلى لغة الأعراب من بنى هلال وبنى سليم المخيمين منذ القرن الخامس بأنحاء القطر التونسى ، لما وجد مادة متسعة جداً لبحثه ولأفادنا إفادة نحن فى حاجة أكيدة إليها للوقوف على لسان هؤلاء الأعراب الصُرّح .

ثم أنه كان من السهل عليه معرفة أصول هذه اللهجة الأعرابية المباينة للغة الحضر فى كثير من الأوضاع والصيغ بما قيد شوارده العلامة ابن خلدون فى تاريخه الكبير ، فانه أبان لنا كثيراً من نواحى لغتهم وآدابهم وطرائق تخاطبهم .

وبتتبع الرسالة يتبين أن المصدر الذى اعتمده المؤلف وقلد ترتيبه بل ونقل من مادته ما يناسب موضوعه هو (أدب الكاتب) لابن قتيبة الدينورى فان مؤلفنا حذا حذوه فى « تقويم اليد واللسان » وسايره فى التنبيه على ما هو مضموم ومفتوح ومكسور والعامة تضمه أو تفتحه أو تكسره وهلم جرا .

وبالجملة فان هذه الرسالة من الأبحاث المفيدة التى تدلنا على أن الأجداد – رحمهم الله – لم يهملوا جانب العناية بلغة التخاطب فى مختلف البلاد العربية ، ومن فضل الله على العلم أن لم يخل قطر من أقطار المغرب من مثل هذه الأبحاث المحلية ، فقد ألف فى ذلك علماء من الأندلس ومن المغرب الأقصى وحتى من صقلية العربية كما أشرنا إليه فيما تقدم ، وعلاوة على هذه المصنفات المستقلة فان النصوص الواردة فى الجمل العامية ضمن الكتب المؤلفة فى غير ما موضوع كالتاريخ وتراجم الرجال والرحلات وفروع الفقه وكتب الطب والصيدلة ، ولا سيما فى مناقب الأولياء

والصالحين ، يوجد فيها من آثار اللهجات الدارجة فى الأصقاع المغربية ما لو جُمِعَ على حدة ولكل صقع بانفراده لتجمع منه ما يكفى لإدراك المقصود لمعرفة حالة تلك اللهجات على ممر العصور وما اعتراها من التغيّر مدى الزمان .

أما النسخة التى اعتمدنا عليها فى رسالة « الجمانة » فهى محفوظة بخزائن جامع الزيتونة العامرة وهى مرسومة تحت رقم ٣٩٦١ أدب وهى حديثة النسخ بخط تونسى ردىء جداً ، وفيها من الأغلاط والتحريف والتصحيف مالا يدخل تحت حصر وقد عانينا فى نقلها عناء لا مزيد عليه حتى وفقنا إلى إرجاع المتن إلى أصله ، وبلغنا أنه يوجد منها نسخة أخرى لم نقف عليها .

كما أنا علقنا على المتن بقدر الاستطاعة فيما يحتاج إلى الشرح من وضوح نص أو إشارة إلى مأخذ .

والله سبحانه الموفق إلى سواء السبيل عليه نتوكل وإليه ننيب . . .

الجُمانة
في إزالة الرَّطانة

الحمد لمن أنطق الإنسان بلغات مختلفة ، وجعل لغة العرب من بينها بمنزلة الدرة من الصدفة ، ووصفها فى كتابه العزيز بالإبانة ، وجعلها لغة الأبرار الذين أسكنهم جنَانه ، وصلاته وسلامه على سيدنا ومولانا محمد الذى هدى من الضلالة ، ودعا إلى الله وأنقذ من الجهالة ، وعلى آله أولى الكرم العميم ، وأهل الوفاء من حادث وقديم .

أما بعد فهذه أوراق ذكرت فيها ما حضرنى مما غُير من كلام العرب مما يكثر فى الأشعار والأخبار دوره ويقبح جهله ، وأردفته أيضاً بذكر ما أهملوه من الأسماء الفصيحة فى المعانى المتداولة والألفاظ العربية ، وسميتُه لذلك (بالجُمانة ، فى إزالة الرَّطانة) ولا يعترض علينا بإنشادنا فيه بعض شعر المولَّدين لأنا لم نسقه للاستشهاد به بل تمليحاً وتحلية ، إذ بعض ما ذكر فيه أشهر من أن يستشهد عليه ، والله المسئول أن يتجاوز عنا فيما عسى أن يكون لا يعنينا ويوفقنا فما التوفيق إلا به سبحانه وتعالى .

(باب ما جاء مفتوحاً والعامَّة تضمه)

من ذلك : الرماد ، هو بفتح الراء ولا يضم ، قال تعالى : ﴿ كرمَاد اشتدت به الريح ﴾ [1]

وقال الشاعر [2] :

(1) سورة ابراهيم : ١٨

(2) قائله حسان بن ثابت الأنصارى يهجو بنى عائذ — أو عابد — بن عبد الله بن مخزوم من قصيدة ، وصدر البيت : على ما قام يشتمنى لئيم (ديوان حسان ط . تونس ١٢٨١ ص ٣٥ وط . مصر ص ١٤٣)

كخنزير تمرغ في رَماد

وكذلك قولهم : « وهل تلدُ النارُ إلا الرَماد » بفتح الراء .

ومن ذلك ضمهم الميم فى عُمُراسم رجل ، والصواب فتحها لأنها من الأسماء المعدولة التى جاءت على وزن فُعَل بفتح العين نحو : زُحَل وقُثَم .

ومن ذلك قولهم رُطُب بضم الطاء وهو خطأ ، والصواب فتح الطاء كما نطق به القرآن فى قوله تعالى : ﴿تساقط عليك رُطَباً جَنِيّاً﴾ [١] .

ومن ذلك قولهم للصفحة من الخشب وغيره لوح بضم اللام والصواب فتحها كما قال تعالى : ﴿فى لَوْح محفوظ﴾ [٢] . وأما اللُّوح بضم اللام : الهواء ، وقد جمع حازم بينهما حيث قال يصف السفينة وأحسن [٣] :

طارت بنا فَتْخاءُ لِلَوح انتمتْ ولَيس فى اللُّوح لها من مُنْتَمَى

الأول بفتح اللام لأن المراد باللوح الخشب ، والثانى بضم اللام لأن المراد الهواء ، والفتخاء من العُقْبان اللينةُ الجَناح .

(١) سورة مريم : وقد نبه ابن السيد البطليوسى على أن : (الرطب) بضم الراء وسكون الطاء من النبات خاصة ، فاذا ضممت الراء وفتحت الطاء (رطب) فهو من التمر خاصة ، فاذا فتحت الراء وسكنت الطاء (رطب) فهو ضد اليابس من كل شىء (الاقتضاب ص ١٢٨)

(٢) سورة البروج : ٢٢

(٣) هو أبو الحسن حازم بن محمد بن حسن بن حازم الأنصارى القرطاجنى ، من فحول أدباء الأندلس وكبار علمائها فى اللغة والأدب والأخبار ، ولد بمدينة قرطاجنة فى شرق الأندلس سنة ٦٠٨ هـ ، وانتقل الى سكنى مدينة تونس والتحق بخدمة ملكها السلطان أبى زكرياء الأول من بنى حفص صاحب افريقية ، وخدمة ولده المستنصر بالله محمد واليه ألف القصيدة المقصورة التى ينقل منها مؤلفنا كثيراً فى بحثه هذا ، وهى من غرر القصائد البديعية ، ومات حازم فى تونس يوم ٢٤ من رمضان سنة ٦٨٤ هـ – وشرح هذه المقصورة أبو القاسم محمد بن احمد شهر بالشريف قاضى غرناطه المتوفى سنة ٧٦٠ هـ ، وطبع الشرح فى مصر سنة ١٣٤٤ فى جزئين والبيت المستشهد به هنا ورد فى الشرح ج ١ ص ١٤٦

ومن ذلك قولهم : حُدْبَة البعير لسنامه بضم الحاء ، والصواب فتحها وفتح الدال ، كذا رأيته فى نسخة معتمدة من الشنتمرى شارح أبيات الكتاب [١] .

ومن ذلك قولهم : سُكُر بضم الكاف والصواب فتحها فتقول : سُكَر ، وابن سُكَّرَة شاعر معروف [٢] وقد أنشد له فى المقامات فى كافات الشتاء البيتين المشهورين ، وهو القائل يصف حَمَّاماً دخله فسرق مداسه وخرج حافياً :

إليك أذمُّ حمام ابن موسى　　وإن فاق المنى طيبا وحَرّا

تكاثرت اللصوصُ عليه حتى　　ليحفى من يطيب به ويُعْرَى

ولم أفقد به ثوباً ولكن　　دخلت محمداً وخرجت بِشْرا

أراد بقوله بشرا أبا نصر بشر بن الحارث الحافى ، وكان من كبار الزهاد وأولياء الله ، وكان يمشى حافياً لا يلبس نعلا ولا مداساً فاشتهر بالحافى [٣] .

ومن ذلك قولهم : سُحور وفُطور لما يُتَسَحّر به ويُفْطر عليه ، بضم أولها ، والصواب سَحُور وفَطُور بفتح أولها ، ذكرهما ثعلب [٤] .

[١] قوله : شرح أبيات الكتاب — يعنى كتاب سيبويه — لأبى الحجاج يوسف بن سليمان بن يحيى الأندلسى المعروف بالاعلم الشنتمرى نسبة الى مدينة شنتمرية (مولده سنة ٤١٠ ووفاته ٤٧٦ ﻫ) واسم هذا الشرح تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الذهب فى علم مجازات العرب « طبع بهامش كتاب سيبويه بولاق سنة ١٣١٨

[٢] هو محمد بن عبد الله بن محمد المعروف بابن سكرة الهاشمى ، شاعر بغدادى مشهور من ولد على بن المهدى بن أبى جعفر المنصور الخليفة العباسى ، توفى سنة ٣٨٥ فى ربيع الآخر (ابن خلكان ١ : ٣٥٦ وغيره) — والأبيات المستشهد بها هنا وردت فى شرح مقامات الحريرى للشريشى ج ٢ : ٤٨ مع بعض اختلاف فى الرواية من ذلك : ولو — بدل وان فى عجز البيت الأول — وأو بدل : به فى عجز البيت الثانى .

[٣] هو بشر بن الحارث بن على بن عبد الرحمن ويعرف بالحافى ، أبو نصر من كبار الصالحين ، له فى الزهد والورع أخبار ، وهو من ثقات رجال الحديث ، أصله من مرو وبها ولد فى سنة ١٥٠ وسكن بغداد الى أن توفى سنة ٢٢٧

يروى أن الخليفة المأمون كان يقول : لم يبق فى هذه البلاد أحد يستحى منه غير هذا الشيخ . يعنى بشر الحافى . (ترجمة ابن خلكان ١ : ٩٠ — والمناوى فى طبقات الصوفية وغيرهما)

[٤] قوله : السحور والفطور — بالضم — هو كذا فى اللهجة التونسية ، وكذلك كان فى لغة التخاطب

ومن ذلك قولهم : النُعَام والنُعامة ، الطير المعروف ، بفتح النون وضمها خطأ ، والنَّعَامة تطلق على الذكر والأنثى ، فاذا أريد الذكر قيل ظَلِيم ، ويقال : شالت نعامة فلان إذا هلك ، ومنه قول الحريرى :

« فلما شالت نعامته ، وسكنت نامته [١]

وذكر فى « الحُلَّة السِيَرَاء » [٢] أن بعض الأمراء سأل عبيد الله بن يحيى عن النعام فقال : طير من طيور الماء ، فقال :

ذهب الزمان بصفوة العلماءِ   وبقيتُ فى جهلٍ وفى عمياءِ
وأتى طَغام رُتَّعٌ من بعدهم   لا فرق بينهم وبين الشاءِ
فإذا سألت عن النعام أسدّهم   علماً يفسره بطير الماءِ

ومن ذلك قولهم : الرُّصاص بضم الراء والصواب رَصَاص بفتحها .

ومن ذلك قولهم فى مضارع عض يعُض بضم العين . والصواب يَعَضّ بفتحها ، قال تعالى : ﴿ويوم يعَضّ الظالم على يديه﴾ [٣] .

[١] قوله : « فلما شالت نعامته ، وسكنت نامته » جملة مقتبسة من المقامة الرابعة والثلاثين وهى : « الزبيدية »

[٢] قوله : « الحلة السيراء » هو اسم كتاب من تأليف العالم الأندلسى الكبير الحافظ محمد بن الأبار القضاعى البلنسى المتوفى بتونس سنة ٦٥٨ هـ ، وسنلمح بعد الى شىء من ترجمته ، وعنوان الكتاب على التحقيق : « الحلة السيراء ، فى شعر الأمراء » لم يطبع تماماً وانما اقتطف منه المستشرق الهولاندى دوزى قسما نشره ضمن كتابه : طبع ليدن خلال سنتى ١٨٤٧ — ١٨٥١ R. Dozy, *Notices sur quelques manuscrits arabes*. ونشر منه قسما آخر المستشرق الألمانى M. J. Müller تحت عنوان *Beiträge zur Geschichte der westlichen Araber*. طبعه فى مدينة مونخ فى سنتى ١٨٦٦ — ١٨٧٨ — والجميع نقلا عن النسخة الخطية المحفوظة بمكتبة الاسكوريال رقم ١٦٥٤ — أما الأبيات المستشهد بها هنا فقد أوردها دوزى فيما طبع منه ص ٨٩

[٣] سورة الفرقان : ٢٧ — وقوله عض يعض — بضم العين هى لغة أهل الأندلس خاصة ، راجع المعجم Vocabulista ، أما فى القطر التونسى فان أعرابنا الهلاليين ينطقونها على الصواب كما فى الفصحى يعنى بفتح العين .

لأهل الأندلس حسبما نص عليه معجم اللغة العربية الدارجة بالأندلس Vocabulista طبعة سكيابرلى بفيورنسا سنة ١٨٧١ وكذا *Arte et Vocabulista* de Lagarde. Pedro de Alcala بمدينة Göttingen سنة ١٨٨٣ ، وهذا المعجم هو المشار اليه دائماً باسم : Vocabulista

والصحيح أن قولهم : شُم البخور بضم الشين ليس من اللحن خلافاً لبعضهم لكن فتحها أفصح .

ومن ذلك ضمهم الفاء من فُوق الظرفية فيقولون : جلستُ فُوقه ونحوه . والصواب فتحها ، وإنما الفُوق — بضم الفاء — موضع الوتر من السهم .

ومن ذلك قولهم للبطن جُوف — بضم الجيم — والصواب فتحها ، وإنما الجُوف — بالضم — جمع أجْوَف وكذلك الجَوْف المطمئن من الأرض بفتح الجيم .

(باب ما جاء مفتوحاً وهم يكسرونه)

من ذلك قولهم : يوم السِّبت — بكسر السين — والصواب فتحها .

ومن ذلك قولهم : نِوى التمر وغيره — بكسر النون [١] — والصواب : النَّوَى بفتح النون ، وكذلك النواة فى المفرد ، ولولا ذلك ما تمت التورية للشاعر فى قوله :

لأن الحَبَّ فى التفاح حب وفى الخوخ النوى وهو البعاد

لما كان على لفظ النوى الذى بمعنى البعد وهو فى هذا المعنى مفتوح النون .

ومن ذلك قولهم : إعرابى بكسر الهمزة ، والصواب فتحها ، فيقال : أعْرابى — بفتح الهمزة — لأنه منسوب إلى الأعراب ، قال تعالى (قالت الأعْرَابُ آمنَّا) [٢] .

ومن ذلك قولهم : جِبْهَة — بكسر الجيم — وهو لحن ، والصواب جَبْهة — بفتح الجيم —

ومن ذلك قولهم : أخَذتُ الشيء بإسرِه — بكسر الهمزة — وهو لحن ، والصواب فتحها ، وأصل الأسر القَيد الذى يشدُّ به الأسير .

وكذلك قولهم : أخذت برُمَّته — والرُّمَةَ القطعة من الحبل .

[١] هو كذا فى لغة أهل الأندلس ، أما فى اللهجة التونسية فيقال : النوى — بالفتح — ويضاف الى ذلك أن فى اللهجتين — الأندلسية والتونسية — يستعمل لفظ : نواية — بالفتح للتونسية وبالكسر للاندلسية — اسما للواحدة .

[٢] سورة الحجرات : ١٤

ومن ذلك قولهم : السِنام لحدبة البعير ، وهو بفتح السين ، وكسرها خطأ ، وقد سمعت بعضَ مَن يُظَنُّ به الضبط يكسر سينه وهو لحن [١] .

ومن ذلك : البِضْعَة وهى بفتح الباء وكسرها خطأ [٢]

ومن ذلك : الثِغر لمقدم الأسنان وهو بفتح الثاء . وقد شاع على ألسنتهم كسرها وهو خطأ ، وكذلك موضع المخافة من فروج البلدان يسمى ثغراً . فالثغر بمعنييه مفتوح الثاء ، ولولا ذلك ما مثل أهل البديع للجناس التام بقول الشاعر [٣] :

وإنى لَـلِثَّغْرِ المخوف لكـالىء   وللثغـر يجرى ظَلْمُـه لرشـوفُ

والظَّلم بفتح الظاء : الريق ، وبذلك أيضاً تمت التورية للنبيه النحوى الأديب بدر الدين الدمامينى فى قوله وأبدع ما شاء [٤] :

على ثغـرِه أمْسَى فـؤادى مُرابطاً   ويُحْمَـدُ فى الثغـر الرِّباطُ ويُشكرُ

ومن ذلك قولهم : الخِط — بكسر الخاء — والصواب فتحها فى الكتابة وفى المكان الذى تُنسب إليه الرماح والخَلخال ، واليمام الطائر ، بفتح أولها .

ومن ذلك كسرهم جيم الجَوَار فى جمع جارية وهو خطأ ، والصواب الفتح ، فيقال : عنده الجَوَار

(١) هذا من خطأ الخواص كما يفهم من عبارة المؤلف هنا ، وليس هو من لحن العوام فى اللهجة التونسية

(٢) وفى القاموس : البضعة بالفتح وقد تكسر ، فليتنبه — والبعضة — بالفتح — اسم المرة من البضع ، والبضعة — بالكسر — اسم القطعة

(٣) الشاعر هو عبد الله بن طاهر كما فى العمدة لابن رشيق (ج ١ : ٢٢١) وفى شرح مقصورة حازم (١ : ١٣ ، ٢ : ١٦٩) — وفى كثير من كتب الأدب : المخيف بدل المخوف .

(٤) بدر الدين محمد بن أبى بكر بن عمر الدمامينى المخزومى المالكى ، نشأ بالاسكندرية ثم انتقل الى القاهرة وقرأ بالأزهر وبرع فى العربية ونبغ فى الأدب وكانت له وصلة بملوك تونس من بنى حفص ومدحهم بقصائد طنانة منها البديعية وطالعها : تجنى ما خفى الجسم والوجد يظهر ، ولا ينكر الاخفاء فاللحظ يسحر ومنها البيت المستشهد به هنا وهو التاسع عشر من تسعة وتسعين بيتاً — وهى من غرر قصائده ، وقد خصها محمد بن ابراهيم اللؤلؤى المصرى المعروف بالزركشى بشرح أسماه (بلوغ الأمانى فى شرح قصيدة الدمامينى) وهو موجود فى عدة مكتبات منها نسخة بخزانتى الخصوصية — وتوفى الدمامينى فى وجهته الى الهند فى سنة ٨٢٧ هـ ترجمه مطولا السخاوى فى الضوء اللامع (ج ٧ : ١٨٤)

الملاح ونحوه . فاما حذف الياء وجعل الاعراب فى الراء فليس لحناً لأنه قد حكى فى « التسهيل » أنه قد تحذف ياء الجوارى ويجعل الإعراب فيما قبلها ، فيقال : اشتريت جَواراً حساناً ، وعندى جوار كثيرة ، ومن ذلك قراءة ابن مسعود ﴿ وله الجوار ﴾ (١) .

ومن ذلك : الرَحى يكسرون راءها ، والصواب فتحها (٢) .

ومن ذلك : البَصْرة اسم البلد المعروف بالعراق بفتح الباء وكسرها خطأ قال فى « أدب الكاتب (٣) » : « لا تكسر إلا إذا حذفت الهاء فتقول : البِصر بكسر الباء ، قال : وإنما أجازوه فى النسب بِصرى لأجل ذلك .

ومن ذلك : دِمَشْق بفتح الميم ولا تكسر ، وعلى ذكر دمشق ننشد قول الشاعر (٤) :

دِمَشْق بنا شوقٌ إليها مُبَرِّحٌ ... وإن لج واشٍ أو ألح عذولُ
بلاد بها الحَصْباءُ دُرٌ وتُرْبُها ... عبيرٌ وأنفاسُ الشَّمالِ شَمُولُ
تَسلسلَ منها ماؤها وهو مُطْلق ... وصحّ نسيمُ الروْضِ وهو عليلُ

وهذا البيت وما بعده غاية فى الإحسان .

ومن ذلك : الكَتَّان بفتح الكاف ، وكسرها خطأ من العامة قاله فى « أدب الكاتب (٥) » .

ومما أورد فى هذا الباب : ثَنْدُى المرأة بفتح الثاء ، والجَدْى بفتح الجيم وتسكين الدال ، واليَمين

(١) سورة الرحمن : ٢٤

(٢) الرحى — بالكسر — لغة عامية لأهل الأندلس وقد تقدمت أختها كلمة النوى ، راجع معجم Vocabulista أما فى اللهجة التونسية فهى بالفتح على الصواب

(٣) يشير الى ما جاء فى «أدب الكاتب» لابن قتيبه ، طبعة القاهرة سنة ١٣٤٦ ص ٣١٨

(٤) الشاعر هو ابن عنين ، محمد بن نصر بن الحسين الانصارى ، ولد بدمشق سنة ٥٤٩ وتوفى بها سنة ٦٣٠ هـ والأبيات من قصيدة يتشوق فيها الى دمشق ومطلعها :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة
وظلك يا مقرى على ظليل

راجع ديوان بن عنين طبعة دمشق وكذا نفح الطيب ١/٥١ وص ٥١٧ وما بعدها

(٥) أدب الكاتب ص ٢٨٥ وينطق بها بالكسر فى اللهجتين التونسية الحضرية وفى الأندلسية قديماً ، أما فى كلام أعراب البلاد الافريقية فهى بالفتح كما فى الفصحى

والبسار بفتح يائيهما [١] : وما وقع فيه التورية فى هاتين اللفظتين ما حكى القاضى أبو القاسم السبتى فى بعض مَن طلب أن يُستعمل فى عِمَالات المجابى وادعى أن له مالا يفى بغُرم ما يضيع وحلف على دعواه ، فقال بعضهم [٢] :

حلفتَ لهم بأنك ذو يسارٍ   وذو ثقةٍ وبَرٌّ فى اليمين
ليستندوا إليك بحفظ مالٍ   فتأكل باليسار وباليمين

ومما أورده فى هذا الباب قولهم : الدِّجاجة ، والدِّجاج ، بكسر الدال والصواب الفتح [٣] .

وقولهم أيضا : الشِّتْوَة — بكسر الشين — والصواب فتحها [٤] .

ومن ذلك قولهم : حِلْقة الباب وغيره بكسر الحاء ، والصواب فتحها ولا تفتح اللام [٥] .

ومن ذلك قولهم فى والد الوالد : الجِد بكسر الجيم والصواب فتحها [٣] .

ومما أورده ابن قتيبة فى هذا الباب قولهم : مِلك يمينى ، بكسر الميم والصواب فتحها [٦] .

ومن ذلك قولهم : نِسر — بكسر النون — للطائر والنِجم ، والصواب فتح النون فيهما .

ومن ذلك قولهم : النِّدَى لندَى الأرض وما يسقط ليلا — بكسر النون — والصواب فتحها ، فيقال : سقط النَّدى ، والأرضَ ذات ندى ، وعلى ذكر الندى ننشد قول الشاعر [٧] :

أنهض أبا طالب إلينا   وأسقط سقوط النَّدى علينا
فنحن عقدٌ بغير وُسْطَى   ما لم تكن حاضراً لدينا

[١] أدب الكاتب ص ٢٨٦

[٢] نسب الشريف الغرناطى البيتين الى ذى الوزارتين لسان الدين محمد بن الخطيب وأثبتهما فى شرحه لمقصورة حازم ج ١ ص ٣١

[٣] راجع أدب الكاتب لابن قتيبة ٢٨٧ ، ٣١٣ — وكذا كان ينطق بها عامة أهل الأندلس ، راجع Vocabulista أما فى التونسى فهى بالفتح

[٤] راجع أدب الكاتب لابن قتيبة ص ٢٨٧

[٥] راجع أدب الكاتب لابن قتيبة ص ٢٨١

[٦] ملك يمينى — قال البطليوسى : أن ابن قتيبة ذكر فى باب أبنية الأسماء من كتابه ملك وملك ونسى ههنا ما قاله هناك ، وقد قرأ الفراء (ما لكم من آله غيره ما أخلفنا موعدك بملكنا) وملكنا بالضم والفتح والكسر (الاقتضاب ص ٢٠٥)

[٧] نسب الفتح بن خاقان البيتين الى الأمير المتوكل على الله عمر بن المظفر بن الأفطس صاحب بطليوس

ومن ذلك قولهم سكران — بكسر السين — والصواب فتحها [١] .

ومن ذلك قولهم : قِيح لمدة المياه الخارجة من الجرح — بكسر القاف [٢] — والصواب : قَيْح بفتحها ويقال له : الوغْى .

ومن ذلك قولهم : مَلَّه يَمِلُّه — بكسر الميم فى المضارع ، والصواب يَمل — بفتح الميم فى المضارع ، وفى الحديث : (إن الله لا يَملُّ حتى تَمَلُّوا) بفتح الميم [٣] .

ومن ذلك قولهم : عافه َ يعيفهَ أى كرهه — بكسر العين — فى المضارع ، والصواب يعافه بفتح العين .

ومن ذلك قولهم : هابَه ، يَهِيبُه — بكسر الهاء — فى المضارع ، والصواب يهابه بفتح الهاء كما قاله ابن مالك فى « الخلاصة » .

ومن ذلك : نعاه ينعيه إذا أخبر بموته هو بفتح العين فى المضارع [ولا تكسر .

ومن ذلك قولهم : المرأة تغير على زوجها — بكسر الغين — والصواب تغار ، وفى الحديث : « أعليك أغار يا رسول الله » — ومن ذلك قولهم فى مصدر هذا الفصل : الغيرة — بكسر الغين — والصواب : الغَيْرة بفتحها .

ومن ذلك قولهم لصمغ يسيل من شجر ببلاد الروم : مِيعة — بكسر الميم — والصواب بفتح الميم ، ذكره الجوهرى [٤] .

من بلاد الاندلس يستدعي بهما وزيره أبا طالب بن غانم ، وروى : أقبل بدل انهض ، وقع وقوع بدل واسقط سقوط (راجع قلائد العقيان طبعة مصر ١٣٢٠ ص ٤٧) — ونسبهما المقرى مرة الى ابن الأفطس المتقدم ومرة أخرى الى جدنا الأعلى الأمير المعتصم ابن صادح التجيبى صاحب المرية من شرق الأندلس (نفح الطيب ١/٣١٢ و ج ٢/٢٠٨) ويزاد عليه أن الندى — بالكسر — كانت لغة أهل الاندلس العامية ، راجع Vocabulista أما فى التونسى فهى بالفتح

(١) أقول : ليس الأمر كذلك فى اللهجة التونسية فانهم ينطقون بها : سكران — بضم السين — وانما نقل مؤلفنا سكران — بكسر السين — من ابن قتيبه (أدب الكاتب ص ٢٨٧) ولم ينبه على النطق التونسى

(٢) هو كذا فى اللهجة التونسية وفى لغة أهل الأندلس العامية

(٣) وتمام الحديث : أكلفوا من العمل ما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا . النهاية لابن الأثير ٤ : ١١٥ مادة ملل

(٤) وعبارة الجوهرى : والميعة صمغ يسيل من شجر ببلاد الروم يؤخذ فيطبخ فما صفا منه فهو الميعة . (مادة ميع)

ومن ذلك قولهم لامرأة الابن : كِنَّة بالكسر ، والصواب كَنَّة بالفتح ، قاله الجوهرى ، قال وتجمع على كنائن كأنه جمع كنينة .

ومن ذلك قولهم : حِلْقَة الحديدِ والناسِ — بكسر الحاء — والصواب حَلقة بفتحها [١] .

(باب ما جاء مكسوراً وهم يفتحونه)

من ذلك قولهم فى مضارع بات يبات — بفتح الباء — والصواب الكسر ، وفى التحقيق إنما كسرت العين وهى الباء لأن أصله يَبْيِتُ باسكان الباء وكسر الياء وهى العين كيضرب ثم نقلت حركة العين وهى الكسرة إلى الساكن الصحيح فصار يبيت ، قال الشاعر [٢] :

أتَبِيتَ رَيَّانَ الجفـون من الكرى   وأبيتُ منـك بليـلة الملسـوع

ومن ذلك قولهم : لحم نَىْ بفتح النون ، والصواب نِىء بكسر النون والهمزة [٣] .

ومن ذلك قولهم : كَرْكَرَة البعير ، يفتحون الكافين ، والصواب كسرهما .

ومن ذلك قولهم : شَرَبْتَ الماء وغيره — بفتح الراء — والصواب كسرها فتقول : شَرِبت ، قال تعالى : ﴿ فَشَرِبوا منه ﴾ [٤] .

وأما فتحهم ما كان معتل اللام من فعِل مكسور العين كقولهم : فَنَى وبَقَى فى فَنِي وبَقِي فليس

---

(١) قال أبو عبيد فى غريب المصنف : اختار فى حلقة الدرع نصب اللام ويجوز الجزم وأختار فى حلقة القوم الجزم ويجوز النصب (الزهر ج ٢/١٨٤)

(٢) قائله زيد الخيل ، راجع البيت وما قيل فيه فى كتاب سيبويه ج ١/٦٥ وفى أمالى القالى ٣/٢٥ وما بعدها — وفى نوادر أبى زيد ص ٨٠ — وخزانة الأدب ٤/٤٨ أو ١٤٩ — وغير ذلك فى كتب اللغة والأدب

(٣) قال البطليوسى «والنيء — بكسر النون والهمز — الذى لم يطبخ ، فاذا فتحت النون وشددت الياء ولم تهمز فهو الشحم» (الاقتضاب ص ٣٤٩)

(٤) سورة البقرة ٢٤٩ — ويستدرك عليه أن قولهم شربت — بفتح الراء — انما هو لغة الحضر من سكان البلاد التونسية ، أما بدوها فانهم ينطقونها بكسر الشين كما هى فى الفصحى

بلحن لأن ابن جنى وغيره قد حكوا أن طيئا يفتحون العين فى فَعِل وفُعِل إذا كان ذلك معتل اللام ، قال الشاعر أنشده سيبويه [١] :

أفى كل عـام مأتمٌ تبعثـونه   على مُحْمَرٍ ثَوَّبتمُـوهُ وما رُضا

أصله رِضىَ ، وعليه قول حازم [٢] :

« أبْقَى الزمان عبرة لمن بقَى »

أراد بقِيَ .

ومن ذلك الخيرى النبت المعروف هو بكسر الخاء وفتحها خطأ كأنه منسوب إلى الخير — بكسر الخاء — وهو الكرم ، وقد أشار إلى هذا حازم حيث قال فى مقصورته [٣] :

وأظهـر الخِـيرىُّ صِدْقَ نِسـبةٍ   لما انتمى للخَـير فيهـا واعـتزى

ويزيدون فى هذا اللحن إبدال الراء لاماً (خيلى) — ومثله إبدال راء البسر لاماً ، فيقولون البسل [٤]

ومن قولهم : بَكْر للجارية التى لم تفتض [٥] — بفتح الباء — فيحرفونه ، لأن البكر — بالفتح — إنما هو الفتى من الإبل ، والصواب بِكْر بكسر الباء .

(١) وفى الجمهرة لابن دريد : شق — فى لغة طيء — فى معنى شق ، ومثله بق فى معنى بقي ، وبلى فى بلي ، ورضى فى معنى رضي (راجع المزهر للسيوطى) ط مصر ١٣٢٥ — وأمال القالى ٣/ ٢٥ ، ٢٦ وقال ابن سيدة : بقي بقاء ، وبق بقيا ، الأخيرة لغة بلحارث بن كعب ، وهى أيضاً لغة طيء ، وذلك أنه مطرد فى لغتهم تحويل كل ما كان على فعل أو فعل من معتل اللام الى فعل فيقولون : رضى فى رضي وغنى فى غنى ، ومنه بيت كتاب سيبويه : « أفى كل عام مأتم الخ » الا أنها على لغة بلحارث أصل وعلى لغة طيء فرع عن فعل (من المحكم لابن سيده ، مخطوط فى خزانة جامع الزيتون بتونس)

(٢) راجع شرح مقصورة حازم ج ١ / ١٥٣

(٣) والبيت مثبت فى شرح مقصورة حازم ١ / ١٥٣ — والخيرى — وينطق به التونسيون الى اليوم : الخيلى كما أثبته المؤلف هنا ، نبت طيب الرائحة ونوره على ثلاثة أصناف اما أصفر أو أبيض أو بنفسجى ، ويعرف عند الافرنج باسم Giroflée (راجع كشف الرموز فى بيان الأعشاب للجزائرى ط الجزائر سنة ١٣٢١ ص ٧٤)

(٤) ليس الأمر على ما ذكر فى كلمة البسر عند التونسيين . فانهم يلفظونها الى الآن بالراء : البسر — كما فى الفصحى لا باللام غير أنهم يفتحون الباء بدل رفعها ، ويقصدون بها نوعا من التمر يؤكل قبل ارطابه

(٥) فى (ب) تفترع بدل تفتض والمعنى واحد

ومن ذلك قولهم : سَلعة — بفتح السين — فى المتاع وغيره ، والصواب الكسر ، وإنما السَلعة — بالفتح — الشجر ، قاله الجوهرى (١) .

ومن ذلك قولهم : خَزانة — بفتح الخاء ، والصواب خِزانة — بكسر الخاء (٢) .

ومن ذلك قولهم : تَبْن — بفتح التاء — والصواب الكسر (٣) .

ومن ذلك قولهم : ضَفَّة النهر، وهى جانبه — بفتح الضاد — والصواب ضِفة بكسرها ، قاله الجوهرى (٤) .

ومن ذلك قولهم : ضَيفان فى جمع ضَيْف — بفتح الضاد — والصواب بكسرها .

ومن ذلك قولهم : له زَىّ حَسَن — بالفتح — والصواب زِى بالكسر .

ومن ذلك قولهم لما يصبُّ فيه الدهن وغيره : قَمَع — بفتح القاف — والصواب : قِمَع بكسرها كنطع ، قاله الجوهرى .

(باب ما جاء مضموماً وهم يكسرونه)

من ذلك : ذو الرُّمَّة ، لقب الشاعر المعروف — بضم الراء — وكسرها لحن ، والرُّمَّة القطعة من الحبل ، وإنما لُقِّب بذلك لأنه كان يعلق عليه فى صغره قطعة من حبل من فَزَع أصابه فلقِّب ذو الرُّمة ، وقيل غير ذلك ، وأما الرِّمة — بالكسر — فهى العظم البالى (٥) .

(١) فى نسخة (ب) الشجة بدل الشجر ، وفى صحاح الجوهرى : السلع بالتحريك : شجر مر — أما قوله : السلعة — بفتح السين — فان المعروف فى اللهجة التونسية الآن هو أن (السلعة) التى هى المتاع وغيره بكسر السين — ومن معانى هذه الكلمة عند التونسيين أيضاً أنها القطعة تفصل من أصل الشجرة وتغرس فتنبت وينطقون بها بكسر السين أيضاً كالبضاعة والمتاع بلا فرق ، وكذلك كان فى لغة أهل الأندلس العامية

(٢) كذا فى اللهجتين الأندلسية والتونسية

(٣) كان ينطق بها فى لغة أهل الأندلس بفتح التاء والباء : تبن — أما فى التونسى فهى بكسرهما

(٤) ضفة النهر ، عقب البطليوسى على ابن قتيبة بأن الفتح والكسر فى الضفة لغتان حكاهما الخليل وغيره ، والفتح فيها أشهر من الكسر . (الاقتضاب ٢٠٦)

(٥) يعترض عليه أولا أن الرمة — بالكسر هى لغة فى الرمة — بالضم — للقطعة من حبل — والمعروف فى اللهجة التونسية : الرمة — بالكسر فقط — يطلقونها على هيئة الانسان اذا كان ضعيفاً شاحباً وعلى الحيوان اذا كان مهزولا ، وهى عربية فصيحة كما فى المعاجم

ومن ذلك : الفتاتة ، والفتات ما تفتت من الخبز وغيره يكسرون الفاء ، والصواب ضمها .

ومن ذلك قولهم : بِسِي عند استدرار الصبي للبول ، وهذه اللفظة فصيحة عربية ، وهم يخطئون فيها بكسر بائها وزيادة الياء فى آخرها ووضعها فى غير موضعها لأنها إنما تقال لاستدرار الناقة إذا امتنعت من الحلب ، والصواب ضم بائها وسكون سينها ، ذكرها فى « فقه اللغة » ويسمى قول ذلك الابساس وتسمى الناقة التى لا تدر إلا بذلك بَسُوسا [١] .

(باب ما جاء مكسوراً وهم يضمونه)

من ذلك قولهم فى الفاكهة المعروفة : مُشماش بضم ميمه الأولى وزيادة ألف قبل آخره ، وإنما وقع فى شعر العرب بكسر الميمين وحذف الألف ، قال الحماسى [٢] :

لها رُكَبٌ مثل ظِلْفِ الغزالِ أشدَّ اصفراراً من المِشْمِش

قال الزبيدى[٣] : ومن ذلك الذِّبّان — بكسر الذال — والعامة تضمه ، والصواب الكسر لأنه جمع ذُباب فهو كغراب وغِربان .

ومن ذلك قولهم : أخضر مُسَنِّيّ — بضم الميم — الذى أشْبِعَ خضرةً ، قال الزبيدى والصواب بكسر الميم لأنه منسوب إلى المسن الذى يشحذ عليه أى فى لون المسن .

(١) قال الثعالبي : اذا كانت الناقة لا تدر الا بالابساس ، وهو أن يقال لها : بس ، بس فهى بسوس (فقه اللغة فصل فى أوصاف النوق فى اللبن والحلب) ص ٢٤٨

(٢) البيت لأبى الغطمش الحنفى من أبيات يهجو بها امرأته ، (كتاب الحماسة لأبى تمام ، باب مذمة النساء — ج ٢ ص ٣٦٠ ط مصر سنة ١٣٣٤) وأورده مرتضى فى تاج العروس ج ٤ / ٣٥١

(٣) قوله الزبيدى ، يقصد به أبا بكر محمد بن الحسن الزبيدى عالم الأندلس فى اللغة والأدب المتوفى سنة ٣٧٩ هـ صاحب كتاب « لحن العامة » الذى نقل عنه مؤلفنا هنا ، وقد تقدم شىء من خبره فى المقدمة — راجع ترجمته فى بغية الملتمس للضبى ٥٦ وارشاد الأريب لياقوت ٦ / ٥١٨ وبغية الوعاة ٣٤ ونفح الطيب وغير ذلك — وقوله أن العامة تضم الذبان يقصد الزبيدى عامة أهل الأندلس ، أما فى اللهجة التونسية فهو بالكسر .

ومن ذلك فى الذم : هو نُكْس – بضم النون – والصواب نِكس بكسرها وهو الذى جمع اللآمة والخسة والضعف [١] .

(باب ما جاء مضموماً وهم يفتحونه)

من ذلك قولهم : دملج للذى يُجعَل فى العضد بفتح أوله وثالثه ، والصواب دُمْلُج وجمعه دمالج قال الشاعر [٢] :

أَلا يا سْلمِى ذات الدماليج والعِقْدِ وذات الثنايا الغُرّ والفاحِمِ الجَعْدِ

الَّا أنه مدَّه ضرورة .

ومن ذلك قولهم فى عظم الرأس جَمْجَمَة – بفتح جيميه [٣] والصواب ضمهما .

(باب ما جاء مفتوحاً وهم يسكنونه)

من ذلك قولهم : عشْرة رجال – يسكنون شينه – فيخطئون فيه ، والصواب فتحها كما قال تعالى ﴿تلك عَشَرة كاملة﴾ [٤] ولا تسكن إلا إذا كانت عشرة مركبة نحو : إحدى عَشْرة جارية وخمس عشرة امرأة ، قال تعالى ﴿فانفجرت منه اثنتا عَشْرة عيناً﴾ [٥] وفيها لغة بالكسر إذا تركبت فتقول إحدى عشِرة إمرأة .

(١) عقب البطليوسى على ابن قتيبة بقوله : النكس – بالفتح – المصدر والنكس – بالضم – الاسم ، ذكر ذلك ابن جنى (الاقتضاب ٢١٠)

(٢) قائله العديل بن الفرخ العجلى فى مطلع قصيدة أثبتها أبو تمام فى ديوان الحماسة ١ / ٢٦٣

وبقال الآن فى اللهجة التونسية : دبلج بقلب الميم باء ، وهذا كثير ما يقع فى العامية وله أشباه ونظائر ، وأما فى لغة أهل الأندلس فكان اسمه : دملوج بزيادة واو – راجع المعجم Vocabulista وكذا تأليف صديقنا W. Marçais المعنون *Textes arabes de Tanger*, Paris, 1911

(٣) هو كذا فى اللهجة التونسية وفى لغة أهل الأندلس قديماً

(٤) سورة البقرة ١٩٦

(٥) سورة البقرة ٦٠

ومن ذلك تسكينهم فاء الظفر مصدر ظَفِر به فيقول الظَّفْر ، والصواب فتحها كما قال :

وقلَّ من جَدَّ فى شيء يطالبه　　فاستصحب الصَّبر إلا فاز بالظَّفَرِ

ومن ذلك قولهم : عجْم الزبيب ونحوه بمعنى نواه ، باسكان الجيم ، والصواب فتحها ، قال الأعشى [1] :

وجُذْعانُها كَلَقيط العَجَمْ

فأما العَجْم — بالاسكان — فهو المضغ ، عجمتُ العودَ أعجمه عجماً إذا مضغته للاختبار .

ومن ذلك قولهم : دَرْقَة — باسكان الراء — والصواب فتحها ، والجمع دَرَق بفتح الأول والثانى وهو مما بينه وبين مفرده تاء التأنيث ، قال حازم يصف الدواليب [2] :

ترى الدَّواليبَ على جُسورِهِ　　دائرةً بين فُرادى وثُنا

كما أدار الدارِعون عندما　　راموا الطِّرادَ دَرَقاً يوم الوغَى

ومن ذلك قولهم : طَرْف القضيبِ والثوبِ ونحوهما — باسكان الراء — والصواب أن يقال فى معنى آخر الشيء طَرَف — بفتح الراء — وإنما معنى الساكن الراء البصر ، قال تعالى ﴿ينظرون من طرْف خفى﴾ [3] وهو فى الأصل مصدر طرفتَ تطرف طرْفا ، فلذلك لا يثنَّى ولا يجمع ، لا تقول طرفان ولا طروف .

(باب ما جاء ساكناً وهم يفتحونه)

من ذلك السَّمْن ، وعَمْرو اسم الرجل — باسكان الميم فيهما — والعامة تفتح ميميهما ، والصواب الإسكان .

(١) من أبيات لأعشى قيس (راجع المطبوع من ديوانه بعناية المستشرق جيار ، فيانا ١٩٠٥ ص ٣٠ Geyer, *Zwei Gedichte von Al-Aʿšā*, Vienna, 1905.

(٢) راجع البيتين فى شرح مقصورة حازم ١ / ١٣٤

(٣) سورة الشورى ٤٥

وأما نحو : شَعْر وشَعَر ، ونَهْر ونَهَر مما عينه حرف حلق فقد جاء فيه الفتح والإسكان ، وهو سماعى عند البصريين وقياسى عند الكوفيين ، كذا نقل ابن السيد البَطَلْيَوْسِى فى شرح « أدب الكتاب » وظاهر كلام ابن بابشاذ أن البصريين قائلون بقياسه [١] .

ومما أورد ابن قتيبة قولهم : حَلَقة الباب وغيره — بفتح اللام — قال : والصواب إسكان اللام فتقول : حَلْقة الباب وحَلْقة القوم ، وقال أبو عمرو الشيبانى : لا يقال حَلَقة فى شىء من الكلام إلا لحَلَقة الشعر جمع حالق مثل كافر وكَفَرة وظالم وظَلَمَة انتهى . وقال ابن عصفور [٢] فى شرح « الجُمَل » فى باب التكسير : وأما حلق فقد يكون جمع حَلَقة — بفتح اللام — حكاها سيبويه وأنكرها يعقوب ، والصحيح ما قاله سيبويه ، قال الفرزدق [٣] :

يأيها المضروب وَسْط الحلَقَهْ   أفى زنا قُطعْت أم فى سَرِقَهْ

(١) قال ابن السيد البطليوسى : وقد زعم الكوفيون أن كل اسم على مثال فعل وعين الفعل منه حرف من حروف الحلق فالفتح فيه والسكون جائزان معاً كالنهر والنهر والشعر والشعر ، وأهل البصرة يجعلونه موقوفاً على السماع ، وهو الصحيح (راجع الاقتضاب ص ١٣٧ ، ١٧٧) — قال ابن درستويه فى شرح الفصيح : أهل اللغة وأكثر النحويين يقولون كل ما كان الحرف الثانى منه حرف حلق جاز فيه التسكين والفتح نحو : الشعر والشعر والنهر والنهر ، وقال الحذاق منهم ليس ذلك صحيحاً ولكن هذه كلمات فيها لغتان فمن سكن من العرب لا يفتح ومن فتح لا يسكن الا فى ضرورة الشعر والدليل على ذلك انه قد جاء عنهم مثل ذلك فى كلام كثير ليس فى شىء منه من حروف الحلق شىء مثل : القبض والقبض فانه جاء فيهما الفتح والاسكان ، فما جاء فيه الوجهان مما ثانيه حرف حلق الشعر والشعر والنهر والنهر والصخر والصخر والبعر والبعر والضعن والضعن والدأب والدأب والفحم والفحم وسحر وسحر الخ (المزهر ٢ / ٧٢) أقول : الصيغتان مستعملتان فى لهجة البلاد التونسية ، أما أهل الحضر — وهم الذين خصهم المؤلف هنا ببحثه ليقولون على نسق واحد : شعر ، صخر ، لحم ، بحر بفتح الأوليتين ، وأما الأعراب من أهل باديتنا — وهم بقايا بنى هلال وبنى سليم فيقولون : شعر ، بحر ، لحم وهلم جرا بفتح الأولى واسكان الثانية — وهذا ما يؤيد وجود أصلين مختلفين فى عربية البلاد

(٢) هو أبو الحسن على بن موسى بن محمد بن عصفور الحضرمى حامل لواء العربية بالأندلس فى زمانه ، مولده بأشبيلية سنة ٥٩٧ ووفاته بحضرة تونس سنة ٦٦٩ هـ وقبره معروف فى سوق القماش تجاه أحد أبواب جامع الزيتونة ، له تصانيف بديعة فى النحو والعربية مثل كتاب « الممتع » فى النحو و « شرح الجمل » وكتاب « المقرب » وفى الأدب شرح ديوان المتنبى وكتاب « سرقات الشعراء » و « شرح الشعراء الستة » و « شرح الحماسة » وغيره (ترجمته فى فوات الوفيات ٢ / ٩٣ وبغية الوعاة ٣٥٧ وغير ذلك)

(٣) ورد البيت فى ديوان الفرزدق فى كثير من كتب اللغة والأدب مع بعض الاختلاف فى الرواية مثل لفظ : الجالس بدل المضروب ، والربا بدل الزنا (تاج العروس ٦/٣٠٢)

ومن ذلك قولهم : البَرَق – بفتح الراء – والصواب الإسكان ، قال تعالى ﴿ يكاد سنا بَرْقِه يذهب الأبصار ﴾ [١] و ﴿ يكاد البَرْقُ يخطف أبصارهم ﴾ [٢] .

(باب ما جاء مخففاً وهم يشددونه)

من ذلك تشديدهم دال يدٍ وميم دمٍ ، فيقولون يَدّ ودَمّ ، والصواب تخفيف الدال والميم منهما لأنهما مما جاء منقوصاً أى محذوف اللام .

فأما تشديدهم ميم فمّ فليس من الخطأ لأنها لغة محكية ، لكن اللغة الفصحى إنما هى تخفيف الميم وفتح الفاء ، والميم عوض من الواو التى هى عين الكلمة لأن أصله فوه على وزن سوط فعينه واو ولامه هاء بدليل قولهم فى تكسيره أفواه ثم حذفت لامه أعنى الهاء لشبهها بحروف اللين لما فيها من الرخاوة كما حذفت الياء من يد ، ثم إن أضيف بقيت الواو نحو : فوك وفوزيد ، وإن أفرد عُوّض من الواو التى هى عين الكلمة ميم لأنها من مخرجها فيقال : فم حَسَن ، إذ لولم يعوض منها أعنى الواو لحذفت ، لأن القياس بعد حذف الهاء أن ينقل الإعراب إلى الواو كما انتقل إلى الدال من يد ، غير أنهم لو أعربوا الواو لتحركت وقبلها فتحة فانقلبت ألفاً ساكنة والتنوين ساكن ، فكان يلزم حذفها لالتقاء الساكنين فتبقى كلمة متمكنة على حرف واحد ، وذلك غير معروف ، فأبدلوا من الواو ميما لأنها حرف صحيح يحتمل حركات الإعراب ، ولذلك قال بعضهم لا يجوز التعويض فى حال الإضافة فلا يقال فمك .

وجعل نحو قوله [٣] :

يُصْبِحُ ظمآنَ وفى البحر فَمُهْ من الضرورات

[١] سورة النور ٤٣

[٢] سورة البقرة ٢٠

[٣] قال الحريرى : يقولون فى جمع فم أفمام ، وهو من أفضح الاوهام والصواب ان يقال افواه كما قال سبحانه : (يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم) وذلك أن الأصل فى فم فوه على وزن سوط فحذفت

ومن ذلك القديد وهو اللحم اليابس ، هو بتخفيف الدال ولا تشدد وفى المقامات[١]

فأحْضِرُوا مـا تَسَنَّى ولو شَظًى من قَدِيدَهْ

ومن ذلك قولهم : دُخَّان — بتشديد الخاء — والصواب تخفيفها كما قال تعالى ﴿ فارتقب يومَ تأتى السماءُ بِدُخَان مبين ﴾[٢] وقال الشاعر[٣] :

ويَحسُن قبح القول إن جاء منكم كما طاب عَرْف العود وهو دُخَان

ومن ذلك قولهم : النُخَّالة — بتشديد الخاء — لما يسقط عند نخل الدقيق والصواب تخفيفها ، لأنها من باب الفضالات التى جاءت على فُعَالة — بتخفيف العين — كالنُشارة لما يسقط عند النشر والمُشاطة لما يسقط من الشعر عند الامتشاط ، والخُلالة لما يسقط من الفم عند التخلل ، والقُراطة لما يسقط من أنف السراج إذا عشى فقطع عن الليث ، والبُراية لما يسقط من العود عند البرى والخراطة لما يسقط عنه عند الخرط ، والنُحاتة لما يسقط منه عند النحت ، والبُرادة لما يسقط من

الهاء تخفيفاً لشبهها بحروف اللين فبقى الاسم على حرفين ، الثانى منهما حرف لين ، فلم يروا ايقاع الاعراب عليه لئلا تتقل اللفظة ، ولم يروا حذفه لئلا يجحفوا به فأبدلوا من الواو ميا فقالوا : فم ، لأن مخرجها من الشفة ، والدليل على أن الأصل فى فم الواو قولهم : تفوهت بكذا ، ورجل أفوه ، ولم يقولوا : تفممت ولا رجل أفم ، وأكثر ما يستعمل بالميم عند الانفراد ، ثم أن العرب قصرت استعمال فم عند انفراده واختارت رده الى أصله عند اضافته ، فقالوا عند الاضافة : نطق فوه وقبل فاه ، وأدخل أصبعه فى فيه . . . الا أنه قد سمع عنهم الاضافة الى الميم كقول الراجز :

يصبح عطشان وفى البحر فمه

(درة الغواص ص ٤٠٠)

وأول هذا البيت :

كالحوت لا يلهيه شىء يلهمه
يصبح عطشان وفى البحر فمه

ويروى عطشان بدل ظمآن (راجع شرح درة الغواص للخفاجى ص ١٠٤ ط اسطنبول ١٢٩٩)

(١) من المقامات الحريرية الرابعة عشرة وهى المكية — وقد ورد ذكر القديد مرات فى الحديث الشريف ، منه حديث عروة (كان يتزود قديد الظباء) راجع النهاية لابن الأثير ٣ / ٢٦١ — ويستعمل أهل تونس هذه الكلمة بتشديد الدال الأولى منها اتباعاً للفعل الرباعى (قدد) المعبر فى اصطلاحهم عن عمل القديد ، والصحيح تخفيفها كما نبه عليه هنا ، وهو لحم مجفف فى الشمس يدخر لمدة طويلة ، ويظهر أن تجفيف لحوم الضأن والبقر على هذه الصفة مما أدخله العرب الى افريقية ولم يكن معروفاً بها قبل

(٢) سورة الدخان ١٠

(٣) البيت مثبت فى ديوان ابن المعتز المطبوع فى بيروت سنة ١٣٣٢ ص ٤ ورواه الشريشى : قدت بدل قصت (شرح مقامات الحريرى ج ١ ص ٥٨)

الحديد عند البرد ، والقُرامة لما يسقط من القور ، والسُّحالة للذهب والفضة ، والقراضة للجلم ، والقُلامة لما يسقط عند تقليم الأظفار وما أحسن قول ابن المعتز فى تشبيه الهلال بالقُلامة حيث قال والحديث شجون (١) :

ولاح ضـوء الهـلال كاد يفضَحُه   مثـلَ القُـلامةِ قد قُصَّت من الظفر

ومن ذلك اللِّثة لما حول الأسنان — بتخفيف الثاء وكسر اللام — قاله ابن قتيبة ، والجمع لِثات مكسورة اللام قال الشاعر وهو النابغة (٢) :

تجلو بقادمتىّ حمامة أيكـةٍ   برداً أُسِفَّ لِثـاتُهُ بالإثْمِـدِ

ومن ذلك الرباعية للسن التى تلى الثُنية — بتخفيف الياء — على وزن ثمانية ولا يجوز تشديدها ومنه الحديث (كُسرت رباعيته صلى الله عليه وسلم) (٣) .

ومن ذلك ياء الشجى فى قولهم : ويل للشجىّ من الخلىّ ، مخففة ، قاله ابن قتيبة ، وأما ياء الخلى فمشددة (٤) .

ومما أورده ابن قتيبة فى هذا الباب قولهم للطائر سمَّان — بتشديد الميم — والصواب تخفيفها وزيادة الألف بعد النون فى آخره (٥) .

(١) البيت مثبت فى ديوان ابن المعتز المطبوع فى بيروت سنة ١٣٣٢ ص ٤ ورواه الشريشى : قدت بدل قصت (شرح مقامات الحريرى ج ١ ص ٥٨)

(٢) البيت للنابغة الذبيانى من قصيدة مشهورة يصف فيها المتجردة امرأة النعمان (ديوان النابغة ص ٢٩ ط بيروت)

(٣) حديث مشهور ورد فى كتب الصحاح وفى السنن ، فى غزوة أحد

(٤) نقل المؤلف هذه الجملة من «أدب الكاتب» لابن قتيبة (ص ٢٧٩) وقد أطال البطليوسى الكلام عنها وبسط آراء المتقدمين من النحاة وختم كلامه بقوله : وادخالها فى لحن العامة لا وجه له . (الاقتضاب ص ١٩٧ ، ١٩٨) وهى على كل حال لا وجود لها فى اللهجة التونسية

(٥) سمانى : لم يجىء هذا اللفظ فى اللغة الفصحى الا على وزن فعالى ، فلما اشتبه الحال على العامة قاسوا الألف الطرفية بعلامة التأنيث (سمانى سمانة) وأخرجوا مما خالوه اسم الوحدة ما خالوه اسم جمع بحذف آخره ، فقالوا للجنس : سمان وللواحدة : سمانة

ومن ذلك قولهم : عرق الأسى لعرق يستبطن الفخذ ، وهو خطأ بين ، والصواب : النسا بالنون مكان الهمزة ، وإنما الأسى بالهمزة الحزن .

ومن ذلك قولهم فى جمع وصيف – وهو الغلام الخادم – وصفان – بالنون – والصواب : وصفاء – بالهمز – مكان النون وضم الواو وفتح الصاد ، على وزن فعلاء [١] .

ومن ذلك قولهم فى تصغير يد : يديدة ، والصواب يدية بياء مشددة ، الأولى منها ياء التصغير والثانية لام الكلمة ، لأن لام يد ياء لا دال ، وإنما بنوا هذا التصغير على قولهم فى المكبر يد – بالتشديد – فيجعلون لامها دالا ، وقد تقدم أنه خطأ وأن الصواب التخفيف [٢] .

ومن ذلك قولهم : قوس قدح لقوس السماء التى يقال أنها أمان من الغرق ، والصواب : قوس قُزَح – بالزاء مكان الدال وضم الكاف ، وقد كرِه بعضهم أن يقال قوس قزح لأن قزح اسم شيطان وأنه إنمـا يقال قوس الله ، وإن كان ابن جنّى لم يرتض قول من قال أن قزح اسم شيطان ، وممن ذكر قوس قزح فأبدع سيف الدولة أو غيره حيث قال [٣] :

وساق صبيح للصبوح دعـوته فقام وفى أجفانه سِنَةَ الغمض

الزمان ، وقد تكلم به العرب ، ففى مادة : دش يدش دشاً اتخذ الدشيشة وهو حسو يتخذ من بر مرضوض (المعـاجم اللغوية) — وقد حكى ثعلب أنه يقال : جششت الحنطـه ودششتها بمعنى (راجع شفاء الغليل للخفاجي : كلمة دشيش ص ٨٧ وغيره) . ويستدرك عليه هنا أن العلة الأصلية فيما أشار اليه المؤلف من قلب الجيم دالا فى حشيش هو انه كلمـا التقى الجيم بحرف من حروف الصفير فى كلمة انقلب دالا فى اللهجات المغربية ، أو بمعنى آخر تضيع الجيم بمجاورة ما ذكر عنصرها الأصلى وهو الصفير ، ولذلك قالو (الدشرة) للقرية الصغيرة وأصلها الجسرة — والدزيرة للجزيرة — والدسر للجسر — وبالقلب قالوا : المزدرة للمجزرة ، وقس عليه

(١) يظهر أن العلة فى قولهم (وصفان) بدل وصفاء هو أنهم قاسوها على (صبيان) و (غلمان) و (فتيان)

(٢) قوله فى تصغير يد — يديدة — هو كذلك فى اللهجة التونسية ، غير أن لفظة (يدية) على القيـاس هى مستعملة أيضاً فى التونسى فلا وجه حينئذ للاعتراض وكأنهم جعلوا (يديدة) تصغير التصغير ومثل هذا كثير فى لغة التخاطب

(٣) وردت الأبيات فى كثير من كتب الأدب مع اختلاف فى رواية بعض الكلمات ، وغالب رواة الأدب ينسبونها الى ابن الرومى ، الا أن أبا منصور الثعالبى نسبها الى سيف الدولة بن حمدان (ثمار القلوب ص ١٩) وذكر ابن خلكان أنها تنسب أيضا الى أبى الصقر القبيصى (وفيات ١ / ٣٦٥) — راجع شرح مقصورة حازم (١ / ١٦) وشرح شواهـد التلخيص ١ / ٣٩ — والشريشى ٢ / ٩

يطوف بكاسات علينا كأنجم ❊ فمن بين منقضّ وغير منقض
وقد نشرت أيدى الجنوب مَطارفا ❊ على الجوّ دُكْناً وهى خضر على الأرض
يطرزها قوس السماء بأحمر ❊ على أخضر فى أصفر وسْط مبْيض
كأذيال خود وأقبلت فى غلائل ❊ مصبّغة والبعض أقصر من بعض

وهذا البيت وما بعده غاية فى حسن التشبيه ، وما يتعلق بقوس قزح ما حُكِىَ أن دِعْبلاً وقف عليه أعرابى وهو ينشد قوله :

إذا القوس وتّرها أيدٌ ❊ رمَى فأصاب الكُلا والذُرَى

فقال الأعرابى : يا هذا ، ما عنيتَ بقولك ؟ قال دِعبل : القوس قوس الله التى تُسمَّى قوس قزح ، مُطِرت الأرضُ بها وأعشبت فَرَعَتْها الإبلُ فسمنت كلاها وأسمنتها ، فقال الأعرابى — لله دركم يا حاضرة ! إنكم لتسيرون معنا فتساوون وتتنكبون عنا فتفوتون [١] .

ومن ذلك قولهم نِيب فى السن ، والصواب ناب — بالألف مكان الياء — والتحقيق فيه أنه من باب تسكين المتحرك [٢] .

ومن ذلك قولهم : حُك وحُكة — بالكاف لنوع من الأوعية ، والصواب : حُق وحُقة — بالقاف بدل الكاف [٣] — قال الشاعر أنشده النحويون :

وصَدْرٍ مُشرِق النحرِ ❊ كأن ثَدياهُ حُقانِ

(١) يظهر أن المؤلف نقل نفس هذه الحكاية عن شرح مقصورة حازم (١ / ٦٥) أو من شرح المقامات للشريشى (١ / ٣٠٦)

(٢) قوله : نيب بدل ناب ، هى لهجة أندلسية بحتة ، وكان أهل غرناطة يقلبون الفات المد الى امالة رقيقة تكاد تكون ياء ، مثل قولهم : بيب عن الباب ، وميل عن المال ، ونيب عن الناب كما نبه عليه هنا ، وقد أشار ابن الخطيب فى « الاحاطة » (ج ١ ص ٣٥) الى ذلك حيث يقول فى وصف سكان بلده . . « وألسنتهم فصيحة عربية يتخللها اعراب كثير ، وتغلب عليهم الامالة . . » أما فى اللهجة التونسية فلا يقال الا : ناب ومال وباب

(٣) قال الشريشى فى تفسير لفظ حقة : يقال حق والجمع حقاق ، وتبدل عامتنا — أى فى بلاد الأندلس

فهذا تثنية حُق ، وتشبيه الثدى بالحق كثير ، ومن أحسن ذلك قول الشاعر[١] :

لها ثديان مثل حقاق عاج ‏ ‏ ‏ ‏ وثغر زانه حسن اتساق

يقول القائلون إذا رأوه ‏ ‏ ‏ ‏ أهذا الدر من هذى الحقاق

ومن ذلك قولهم : نَفد بمعنى قضى – بالدال المهملة – والصواب : نفذ – بالذال المعجمة فى معنى قال تعالى : ﴿يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفُذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا . الآية﴾[٢] ، وأما نفد – بالدال المهملة – فانما معناه فنى وذهب قال تعالى : ﴿ما عندكم ينفد وما عند الله باق﴾[٣] وقال الشاعر[٤] :

فلا تبعد فكل فتى سيأتى ‏ ‏ ‏ ‏ عليه الموت يطرق أو يغادى

وكل ذخيرةٍ لا بد يوما ‏ ‏ ‏ ‏ وإن بقيت تصير إلى نفاد

ومن ذلك قولهم لنوع من الحجارة : كَذَّال – باللام – والصواب كَذَّان – بالنون بدل اللام ، وهو فعلان والألف والنون زائدتان لأن الجوهرى ذكره فى باب الذال .

— قافه كافا فيصير حك وحكة (شرح مقامات الحريرى ٢ / ١٧٩) وكذلك الشأن فى لهجة البلاد التونسية وهى على حالها من أقرب اللهجات الى الأندلسى

والبيت الوارد هنا من شواهد « قطر الندى » لابن هشام

(١) البيتان منسوبان الى ابن الرومى وقد أوردهما الحصرى فى ذيل زهر الآداب ص ١١١ وتحفة العروس للتجانى ص ١٣٥ وفى شرح مقصورة حازم ١ / ١٨٧ وأنشد الشريشى البيت الأول بالصيغة الآتية (ج ٢ / ٢٦٢) :

صدور فوقهن حقق عاج

ودر زانه حسن اتساق

(٢) سورة الرحمن ٣٣

(٣) سورة النحل ٩٦

(٤) راجع البيتين من ضمن أبيات رواها ابن خلكان فى ترجمة جعفر بن يحيى البرمكى الوزير العباسى (وفيات الأعيان ج ١ / ١٠٩) — يلاحظ عليه أن ابدال بعض الحروف بغيرها لقرب المخرج فى النطق من العوامل التى نص عليها كبار اللغويين ، وقديماً أبدلت الفاء ثاء فقيل : الفوم بدل الثوم ، والثاغية عوض الفاغية ، والفم صار ثم وتم — وكذلك الشأن فى الذال والتاء اذا كان فى أصل الكلمة (ف) فقد تقلب الى (د) و (ت) فراراً من توالى المثلين ، مثل قذف قدف ، فذلك فدلك — و (فرث) تصير فرت ، و (ثفر) السرج تصير تفر — و (حذف) بمعنى طرح ورمى تصير حدف وهلم جرا

ومن ذلك قولهم للبعير ونحوه : يشتر والصواب أن يقال يجتر — بالجيم مكان الشين — واسم ذلك الشيء الذى يجتره الجِرة بالكسر ، وفى الحديث : أنه خطبهم على راحلته وأنها لتقصع بجِرتها أى ترد وقيل أخرجتها فملأت فاها [١] .

ومن ذلك قولهم قرنب لنوع من الحبال ، والصواب إبدال الراء نوناً وإدغامها فى النون فيقال (قِنَّب) .

ومن ذلك قولهم (شاذن) بالذال المعجمة ، وهو خطأ ، والصواب (شادن) الدال المهملة ، والشادن ولد الظبية إذا شدن على المشى أى قوى ، قال النابغة [٢] :

نظرتْ بمقلة شادنٍ متربب   أحْوَى أحمَّ المقلتين مُقَلد

إنما أراد ولد الظبية ، لأن العرب تشبه أعين النساء بأعين الظباء والبقر كثيراً ، وما أحسن ما وقع فيه لفظ شادن قول حازم [٣] :

مجمعُ كل شادن وناشد   عند عيون العين قلباً مُستبَى

[١] فى الحديث الشريف : أنه صلى الله عليه وسلم — خطب على ناقته وهى تقصع بجرتها — والجرة ما يخرجه البعير من بطنه ليمضغه ثم يبلعه ، يقال اجتر البعير يجتر والقصع شدة المضغ (النهاية لابن الأثير ج ١/١٨٣) وقوله تشتر بدل تجتر ، وهو كذلك الى الآن فى اللهجة التونسية ، غير أنهم يقولون : الدابة تقطع الجرة — بكسر الجيم — كما هو فى الفصحى — ويستدرك عليه أن التونسيين يفرقون بين : (١) الجرة — بفتح الجيم وتفخيم الراء — اسم اناء من خزف أو فخار له بطن كبير وعروتان وفم واسع يتخذ لخزن الزيت وغيره من الموائع ، جمعه جرار . (٢) الجرة بالكسر وترقيق الراء هيئة الجر للبعير والغنم وغيرها من الحيوان الذى من عادته الاجترار . (٣) الجرة — بالضم وتفخيم الراء — اثر ما تتركه أقدام الانسان أو أرجل الحيوان على الأرض الرطبة — ولأعراب باديتنا خبرة كبيرة باقتفاء الآثار بواسطة الجرة حتى أنهم ليستدلون بذلك لمعرفة أعيان الأشخاص المارين وتتبع الحيوان الضال والمسروق ، وهذا مما ورثوه عن أسلافهم عرب الجاهلية فى جزيرتهم ، ونقل الخفاجى عن كتاب « لحن العوام » للزبيدى أنه نبه عن : اشترت الدابة بدل اجترت فى كلام عامة الأندلس ثم قال : والأمر فيه سهل لقرب المخرج (شفاء الغليل ٢٥)

[٢] البيت فى ديوان النابغة الذبيانى ص ٢٨

[٣] البيت مثبت فى شرح مقصورة حازم ج ١ / ١٢٦

ومن ذلك قولهم (لارنج) فى الثمر المعروف المتخذ فى البساتين ، والصواب (نارنج) بالنون مكان اللام — ولذلك تم الجناس المركب فى قول الشاعر[١] :

وشادن قلتُ له صف لنا بستاننا هذا ونارنجنا
فقال لى بستانكم جنة ومَن جنى النارنج ناراً جَنَى

فما تأتى فيه الجناس المركب إلا لأنه بالنون .

ومن ذلك قولهم فى (الأَبْنوس) يبنوس بابدال الهمزة ياء ، ويبدلون أيضاً سينه زاياً ، والصواب بالهمز وبالسين .

ومن ذلك قولهم (زبج) بالزاى — للخرز المعروف ، والصواب (سبج) بالسين مكان الزاى[٢] .

ومن ذلك قولهم (اللَّقم) فى معنى اللقب بالميم ، والصواب (لقب) بالباء ، قال تعالى : ﴿ولا تنابزوا بالألقاب﴾[٣] .

ومن ذلك قولهم فى معنى الكُنْية (الكنوة) بالواو ، والصواب بالياء مثل زُبْية ولا يقال زبوة[٤] .

ومن ذلك قولهم (مُقداف) السفينة ، والصواب (مِجدَاف) السفينة — بالجيم مكان القاف — قال ابن دُرَيْد : مجداف السفينة بالدال والذال جميعاً لغتان فصيحتان .

ومن ذلك قولهم (داصه) بمعنى وطيه — بالصاد — والصواب (داسه) بالسين قال[٥] :

وداستنى النوائب أى دوس

[١] هو الأمير الأندلسى محمد المروانى المشهور بالأصم — والبيتان فى نفح الطيب ج ٢ / ٣٣٦

[٢] هنا اختلاف فى النسختين اللتين لدينا ، فى نسخة (١) «زبج» للحوت المعروف ، والصواب (سبج) بالسين مكان الزاى

[٣] سورة الحجرات ١١ ، وربما قالت عامتنا فى تونس (تنقيمة) بمعنى اللقب المعطى للنبز

[٤] راجع كتاب «أدب الكاتب» لابن قتيبة ومنه نقل (ص ٣٥٥)

[٥] وتمام البيت :

تقوس بعد مر العمر ظهرى وداستنى الليالى أى دوس

وبعده :

فأمشى والعصا تهوى أمامى
كأن قوامها وتر لقوسى

(راجع الشريشى ج ١ ص ٥٩)

ومن ذلك قولهم لنوع من الأقداح (طَنْجارة) والصواب (طَرْجِهارة) بالراء بدل النون — ذكرها الثعالبي[١].

ومن ذلك قولهم (بَشِّيمة) والصواب (مَشِيمة) بالميم بدل الباء[٢] .

ومن ذلك قولهم للفاس (معْوَن) والصواب (مِعْول) باللام مكان النون وكسر الميم .

ومن ذلك قولهم للصهريج (ماجن) بالنون — والصواب (ماجل) باللام مكان النون .

(باب التقديم والتأخير)

من ذلك قولهم (رنجس) للريحانة المعروفة — بتقديم الراء على النون — وهو لحن قبيح ، والصواب (نرجس) بتقديم النون على الراء — ويسمى العبير أيضاً ، ومما يتعلق بذكر النرجس حديث ذكره ابن عبد المؤمن[٣] فى شرح المقامات عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (شموا النرجس ولو فى الشهر مرة ، ولو فى العام مرة ، فان فى القلب حبة من الجنون والجذام والبرص لا يقلعها إلا شم النرجس)[٤] — وتفضيل ابن الرومى إياه على الورد وذمه الورد ، والرد عليه مشهور لا يحتاج إلى ذكره .

ومن ذلك قولهم : عليه (نوْرَق) بتقديم النون على الراء — والصواب العكس ، فيقال عليه (رَوْنَق) قال أبو العلاء[٥] .

فالحسنُ يظهر فى شيئين رونقــه ... بيت من الشِّعر أو بيت من الشَّعَرِ

[١] وفى فقه اللغة للثعالبى (فصل أجناس الأقداح) : الطرجهارة من صفر أو شبهه وفى غيره : الطرجهالة من آلات الفلك تحرك بالماء، كما أن البنكام ساعة تستعمل بالرمل (شفاء الغليل ص ٢٥) وكلها معربة — وهذه الكلمة موجودة فى اللهجة التونسية اليوم بصيغة : (طنجرة) وهى القدر ، ويظهر أنها مولدة من (طنجارة) التى كانت مستعملة بتونس فى زمان المؤلف ، ثم أنهم خففوها فحذفوا منها ألف المد ، ومثل هذا التحوير كثيراً ما يقع فى لغة التخاطب

[٢] والمشيمة غشاء الولد فى الرحم تخرج معه عند الولادة (ج) مشيم ومشايم — وتعرف الآن فى لهجة أهل مدينة تونس باسم (الخلاص) ويسمى فى بقية البلاد التونسية (البشيمة) تحريف مشيمة كما أشار اليه المؤلف هنا .

[٣] قوله : ابن عبد المؤمن هو احمد بن عبد المؤمن بن عيسى بن موسى بن عبد المؤمن القيسى المشهور بالشريشى الأندلسى المتوفى سنة ٦١٩ هـ . شارح مقامات الحريرى بأشهر شرح معروف

[٤] ورد هذا الحديث فى شرح المقامات للشريشى (ج ١ ص ١٥١) وهى من الأحاديث المشهورة بالوضع كما نبه عليه المحدثون

[٥] البيت من قصيدة مشهورة لأبى العلاء المعرى ورد فى شرح التنوير على سقط الزند (ط . مصر ١٣٠٣ ج ١ / ٣٢)

(باب ما يزيدون فيه بعض الحروف)

من ذلك قولهم للصبى عند طلب الكف (أمّه) وهذه اللفظة فصيحة لولا الزيادة العامية ، وإنما هى (مَهْ) بحذف الألف وتخفيف الميم ، وقد ذكرها النحويون فى باب أسماء الأفعال وأن معناها أكْفُفْ .

ومن ذلك قولهم (نواية) لواحدة النوى ، يزيدون ألفاً بين الواو والياء ، والصواب حذفها فتنقلب الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها وتفتح النون فيقال (نواة) ، وكما لحنوا فى المفرد لحنوا أيضاً فى جمعه بالألف والتاء فقالوا (نوايات) فزادوا ألفاً بين الواو والتاء ، والصواب إسقاطها فتقول (نويات) كما تقول حصيات فى جمع حصاة لا حصايات .

ومن ذلك زيادتهم ياء فى تصغير الثلاثى المذكر ، فيقولون فى تصغير جَمَل (جُمَيّل) وفى كلب (كُلَيّب) فيزيدون ياء أخرى غير ياء التصغير ويدغمون ياء التصغير فيها وهو خطأ ، والصواب (جُمَيْل) و (كُلَيْب) بياء التصغير وحدها من غير زيادة ياء أخرى ، لأن حق كل ما كان ثلاثياً أن يصغر على فُعَيْل نحو : فُلَيْس وفُرَيْس [١] .

ومن ذلك قولهم : كان ذلك (آمَس) فيزيدون ألفاً بين الهمزة والميم ، وهو لحن ، والصواب إسقاطها فيقال : كان ذلك (أمْسِ) وهو مبنى على الكسر لتضمنه معنى حرف التعريف .

[١] ان تصغير الأسماء من وزن (فعل) على (فعيل) ومن وزن فعلال وفعليل وفعلول على صيغة (فعيعل) لم يكن خاصاً باللهجة التونسية بل هو موجود فى سائر اللهجات الحضرية لأهل المغرب قديماً وحديثاً ، فان أهل الأندلس — الى آخر عهدهم باسبانيا — وكذلك أهل صقلية الى اواسط القرن السادس للهجرة كانوا يستعملون تلك الصيغ كما يستفاد من النصوص الكتابية والوثائق الواصلة الينا من ذلك العصر — (راجع « ديوان ابن قزمان » طبعة بطرسبورغ المصور بعناية Gunzburg كونزبورغ سنة ١٨٩٦ فيما يخص لغة أهل الأندلس — وكتاب « تثقيف اللسان وتلقيح الجنان » لعمر بن خلف بن مكى الصقلى (مخطوط بالمكتبة الكتانية بفاس) وكذا : المراسيم اليونانية والعربية الصقلية التى نشرها كوزا فى بلرمو سنة ١٨٦٨ S. Cusa, *I Diplomi greci ed arabi di Sicilia*, Palermo, 1868. فيما يتعلق بلهجة مسلمى صقلية

ومن ذلك قولهم (زوجة الرجل) والأفصح أن يقال (زوجُ الرجل) باسقاط الهاء ، كما قال تعالى ﴿يا آدم أسكن أنت وزوجُكَ الجنة﴾ (١) وقد يقال : زوجة لكنة قليل ، قال (٢) :

وإن الذى يسعى ليفسد زوجتى كساع إلى أُسْدِ الشَّرَى يستبيلُها

ومن ذلك زيادتهم الياء فى الثلاثى المضعّف إذا أسند للضمير البارز المتحرك فيقولون فى رَدّ وحَل وظن إذا أسندوها إلى ذلك : ردّيت وردّينا ، وحلّيت وحلّينا ونحوه ، فيحيلون المعنى ، ألَا ترى أن ردّيت يصير بصورة رَدَّى الرباعى الذى معناه أسقط المسند إلى الياء ، ولا معنى لزيادة هذه الياء لأن هذه أفعال ثلاثية والصواب أنه إذا أوتى بالضمير المرفوع البارز المتحرك سكنت آخر الفعل لاتصال الضمير على قياس غير المضاعف ، ثم تفك الادغام لسكون المدغم فيه وهو آخر الفعل فتحرك الحرف المدغم بحركته الأصلية فتقول على هذا : رددتُ فى ردَّ ، وحللتُ وظننتُ بفتح العين ، وتقول : مَللتُ فى مل بكسر اللام الأولى وهى العين لأن حركتها أصلية ، وشمِمْتُ فى شَمَّ — بكسر اللام — على اللغة الفصحى ، وبفتحها على الأخرى هو الذى دلَّنا من الفك فى الثلاثى المضعّف إذا اتصل به ضمير مرفوع متحرك وهو الفاشى والمشهور من لغة العرب ، وبعض العرب يبقى الادغام ويحرك الآخر لالتقاء الساكنين فيقول على هذه اللغة : رَدَّتُ ورَدَّتُّ (٣) .

(١) سورة البقرة ٣٥

(٢) قال ابن قتيبة — وعنه نقل مؤلفنا هنا — الرجل زوج المرأة ، والمرأة زوج الرجل ، لا تكاد العرب تقول زوجته (أدب الكاتب ص ٢٢٠) — والبيت المستشهد به من قول الفرزدق فى زوجه النوار وكانت نشزت عليه واشتكت به الى عبد الله بن الزبير (راجع الاقتضاب ص ٣٩٨)

(٣) ويستدرك عليه هنا أن هذا اللحن قديم شائع فى العربية فقد قال ابن جنى : .. «أبدل العرب الهمزة لغير علة طلبا للتخفيف ، فمن ذلك قولهم فى قرأت : قريت ، وفى بدأت : بديت ، وفى توضأت : توضيت ، وعليه قول زهير :

سريعاً والا يبد بالظلم يظلم

أراد يبدأ فأبدل الهمز وأخرج الكلمة الى ذوات الياء (سر الصناعة ، مخطوط بمكتبتى وشفاء الغليل ص ٤٥) وقال البطليوسى : .. «يقال أنه جاء على لغة من يبدل من أحد الحرفين المثلين ياء نحو قولهم : قصيت أظافرى أى قصصتها (الاقتضاب ص ١٣٧)

ومن ذلك قولهم (سرول) للشجر المتخذ فى البساتين للنزهة – بزيادة اللام – والصواب نقصها فيقال (سرو) كما قال :

حَفَّتْ بِسَرْوٍ كالقيان تلحفت   خُضر الثياب على قوام معتدلْ
فكأنها حين الرياح تُميلها   تبغى التعانُق ثم يمنعها الخجلْ

قال الجوهرى : ويسمى العَرْعَر ، ويحتمل أن يكون هو المراد بقولهم (العَرْعار) فيكون زيادتهم الألف أيضاً فى هذه اللفظة من قبيل زيادة اللام فى السرو.

ومن ذلك إثباتهم همزة الوصل مع لام التعريف فيقولون : الاسم ، الابن ، الاستغاثة ، والصواب حذفها وكسر اللام لالتقاء الساكنين ، فيقال : السم ، البن ، الستغاثة ، وهكذا كان القياس فى كتبها إلا أنه يكتب بالهمزة لأن الخط على حكم الابتداء ولا يجوز ثبوت الهمزة درجاً إلا فيما شذ للضرورة مثل قول قيس بن الخطيم [1] :

إذا جاوز الاثنين سرٌّ فانه   يُبَثّ وتكثيرِ الوُشاةِ قَمينُ

ومن ذلك إلحاقهم الفعلَ المبدوء بنون المضارعة واواً إذا أرادوا المشاركة كقولهم : نحن نخرجوا ،

(١) وهذا أيضاً من اللحن القديم الشائع فى لغة العرب فقد قال الحريرى : ومن جملة أوهامهم أنهم اذا ألحقوا لام التعريف بالأسماء التى أولها ألف وصل نحو ابن وابنة واثنين واثنتين سكنوا لام التعريف وقطعوا ألف الوصل احتجاجاً بقول قيس بن الخطيم :

اذا جاوز الاثنين سر فانه
يبث وتكثير الوشاة قمين

والصواب فى ذلك أن تسقط ألف الوصل وتكسر لام التعريف ، والعلة فيه انه لما دخل لام التعريف على هذه الأسماء صارت همزة الوصل حشوا والتق فى الكلمة ساكنان لام التعريف والحرف الساكن الذى بعده همزة الوصل ، فلهذا وجب كسر لام التعريف ، فأما البيت المستشهد به فمحمول على ضرورة الشعر ، على أن أبا العباس المبرد ذكر أن الرواية فيه : (اذا جاوز الخلين) وان كان الأشهر الروايه الأولى . . . وكذلك الحكم فيما يلحق بأسماء المصادر التى أولها همزة الوصل من لام التعريف فى اسقاط الهمزة وكسر لام التعريف كقولك : الاقتدار ، والانطلاق والاحرار للعلة التى تقدم ذكرها (درة الغواص ١١٨) وراجع أيضاً ديوان قيس بن الخطيم طبعة المستشرق Th. Kowalski. فى ليبزغ سنة ١٩١٤ القصيدة رقم ١٤ وفيه بيان اختلاف الروايات بخصوص هذا البيت

ونضربوا ونحوه ، والصواب حذفها فيقال : نحن نضرب زيداً ، ونخرج غداً ، لأن هذه النون تدل على المشاركة فلا حاجة إلى واو الجمع [١] قال تعالى ﴿وانا كنا نقعد منها مقاعد﴾ [٢] وهذا هو الأصل فى هذه النون المبدوء بها فى المضارع ، أعنى أن تكون للمتكلم مشاركة ، وقد تكون للواحد المعظم نفسه ، كقوله تعالى ﴿وننزِّل من القرآن﴾ [٣] ، وهو من تنزيل الواحد منزلة الجماعة تعظيما ، كما يقول الملك : فعلنا ، وكما قال تعالى ﴿وأنزلنا من السماء ماء﴾ [٤] وقوله تعالى ﴿ربِّ أرجعونِ﴾ [٥] .

ومن ذلك الطابق الذى يُقْلى عليه يقولون فيه : (طاجين) بالياء — والصواب حذفها وفتح الجيم فيقال (طاجن) ويقال أيضاً (طَيْجَن) ، ذكرهما الجوهرى ، قال : وكلاهما معرب لأن الطاء والجيم لا يجتمعان فى أصل كلام العرب [٦] .

ومن ذلك قولهم فى متاع البيت وخرثيه (آثاث) بمد الهمزة ، والصواب (أثاث) بهمزة فثاء ، قال الله تعالى (هم أحسن أثاثاً ورئيا) [٧] .

(١) أقول ان ابدال ألف المضارع بنون للمتكلم نحو : نضرب ، نقتل عوض : أضرب وأقتل — وكذا زيادة واو فى المضارع للمتكلمين : نشربوا ، نأكلوا بدل نشرب ونأكل مما يميز اللهجات المغربية عموماً عن اللهجات العربية الشرقية ، ويلوح أن المغاربة قاسوا صيغة المضارع للمتكلمين بصيغة المخاطبين ، فكما أنهم قالوا : تضربوا وتشربوا قالوا : نضربوا ونشربوا بزيادة الواو فى الحالين بالسوية — ويظهر أن هذا اللحن قديم فى لغة التخاطب عند المغاربة وربما يرجع الى القرن الرابع للهجرة ، وقد كان هذا الاستعمال شائعاً فى لغة أهل الأندلس وصقلية وفى سائر جزائر البحر المتوسط الغربى ، مثل مالطة وقوصرة وغيرهما وذلك قبل زحفة أعراب بنى هلال وبنى سليم الى المغرب ، على أن هذه القبائل الهلالية نفسها كانت عند نزوحها الى المغرب — أواسط القرن الخامس للهجرة — كانت تستعمل هذا الخطأ لامحالة كما أفادنا به العلامة ابن خلدون فيما نقل الينا من شعار الهلاليين فى مقدمة تاريخه (راجع التعاليق الممتعة التى أوردها الأستاذ وليم مرسى فى كتابه : النصوص العربية لتكرونة ص ٢٤ من المقدمة William Marçais, *Textes arabes de Takrouna*, Paris, 1925.

(٢) سورة الجن ٩

(٣) سورة الاسرى ٨٢

(٤) سورة المؤمنون ١٨ وسورة الفرقان ٤٨

(٥) سورة المؤمنون ٩٩

(٦) يعترض عليه قوله : «ان الطاء والجيم لا يجتمعان فى أصل كلام العرب» وقد ورد فيه مثل (جلط) و (طبج) وكلاهما عربى فصيح

(٧) سورة مريم ٧٤

ومن ذلك قولهم (عروسة) يزيدون التاء فى المؤنث ، والصواب إسقاطها فيقال (عروس) للمؤنث كما يقال للمذكر (عريس) [1] قال ابن الابار :

كأن الثريا والهلالُ ضجيعها عروس بدا خِلخالها وهى لا تدرى
فأهوت إلى إخفائه بردائها ففاض على شطر وقصر عن شطر

(باب ما ينقصون منه)

من ذلك قولهم (الحجار) فى جمع حجر ، والصواب الحجارة بالتاء ، قال تعالى ﴿ ترميهم بحجارة ﴾ [2] وقال تعالى ﴿ وان من الحجارة ﴾ [3] .

قال ابن قتيبة : ومن ذلك قولهم : (عَيْشة) فى اسم المرأة ، والصواب (عائشة) بالألف [4] .

ومن ذلك قولهم (لية) الكبش ، والصواب (أليَة) الكبش — بهمزة مفتوحة وتخفيف الياء — وكذلك ألية الرجل .

ومن ذلك قولهم (النسرى) للريحانة المعروفة — ينقصون النون — والصواب (النسرين) باثبات النون [5] .

ومن ذلك قولهم فى الموسى آلة الحديد المعروفة (موس) فينقصون الألف من آخره ، وهو خطأ

(١) يستدرك عليه أن فى اللهجة التونسية يقال : العروس للمذكر وعروسة للمؤنث ، ونظير هذا كثير فى اللهجات العربية ، كقولهم (سنة) لواحد الاسنان و (ضرسة) و (ضلعة) و (عجوزة) و (كبدة) وغير ذلك .

(٢) سورة الفيل ٤

(٣) سورة البقرة ١٤

(٤) نقل المؤلف هذا عن ابن قتيبة (أدب الكاتب) وأحسب أن اسم عيشة مستعمل فى جميع البلاد العربية وهى لغة مولدة قديمة وقد ذكرها الجوهرى وغيره ، وقال ابن فارس انها لغة نادرة — راجع شفاء الغليل ص ١٣٤

(٥) كلمة نسرين فارسية معربة قيل انها بفتح أوله وفى القاموس أنها بالكسر — والخطأ المنبه عليه هنا من حذف النون من آخرها هو قديم فى البلاد المغربية . (راجع كشف الرموز فى الأعشاب للجزيرى ص ١٦٠) وقد وردت على هذه الصيغة فى كثير من أشعار الأندلس الدارجة المعروفة بالغرناطى أو المألوف

والصواب ختمها بالألف . وقد أُخْتُلِفَ فيها هل هى أصلية ووزنها مفعل . أو زائدة للتأنيث ووزنها فُعلى . على قولين . ولذلك يجوز تذكيرها وتأنيثها . قال الشاعر فى التأنيث [١] :

فان تكن الموسَى جرت فوق بَظْرِهـا فما وُضِعـتْ إلا ومَصَّـانُ قاعِـدُ

وقال الآخر فى التذكير :

موسى الصَنَّاعى مرهَفٌ شبَاتُه

ولهذا اعترض ابن عصفور [٢] على صاحب « الجُمَلْ » حيث جزم بالتأنيث . وقال : الصواب أنه مما جاء فيه التذكير والتأنيث وأنشد البيتين .

ومن ذلك حذفهم نون الرفع من الفعل المضارع إذا اتصل به ضمير الاثنين أو ضمير الجمع أو ياء المؤنثة المخاطبة ، فيقولون : هم (يقوموا) بحذف النون . والصواب إثباتها .

ومن ذلك حذفهم الياء فى أمر المؤنثة المخاطبة ، فيقولون للمؤنث (قم) واخرج ، والصواب (قومى) واخرجى ونحوه ، بالياء [٣] .

(١) هذا البيت يروى لأعشى همدان قاله خالد بن عبد الله القسرى ، ذكر ذلك أبو الفرج الاصبهانى وذكر ابو عمرو الشيبانى أنه لزياد الأعجم فى خالد بن عتاب بن ورقاء ، وقبله :

لعمرك ما أدرى وانى لسائل
أبظرآء أم مختونة أم خالد

(أنظر شرح أبيات أدب الكتاب للبطليوسى ص ٣٩٠) — وأما ما ذكره المؤلف من أن أهل تونس يتلفظون به (موس) فهو كذلك فى الواقع كراهية منهم لتذكير ما صيغته مؤنثة الا أن من بينهم سكان مدينة صفاقس ما زالوا يقولون (موسى) وكأنهم يؤنثونها فيلحقون بآخرها تاء التأنيث عند الاضافة ، وكان يوجد فى اللهجة الأندلسية صيغة أخرى وهى (مس) وجمعه (أمساس) راجع ص ٤٧٢ من كتاب *Textes arabes de Tanger*.

(٢) تقدم التعريف بابن عصفور النحوى ، أما كتاب «الجمل» فى النحو المشار اليه هنا فهو من تأليف عبد القاهر الجرجانى المتوفى سنة ٤٧٤ ﻫ وعليه شروح كثيرة منها ثلاثة شروح لأبى حسن على بن عصفور هذا (كشف الظنون ج ١ : ٤٠٢)

(٣) أقول : هـذا لحن جار فى لغة التخـاطب لأهل الحضر بالبلاد التونسية أما فى كلام الأعراب منهم فان ياء الأمر للمخاطبة مستعملة باستمرار ، فيقولون (قومى) و (اخرجى) و (اشربى) وهلم جرا

ومن ذلك قولهم : (ساس) الحائط ، فيسقطون من أوله ألفاً ، وإنما هو (أساس) ويقال فيه (أس) أيضاً بضم الهمزة [١] .

ومن ذلك قولهم : (سن الرمح) والصواب (سنان الرمح) بألف بين النونين المدغمة والمدغم فيها ، وإنما السن واحدة أسنان الفم .

ومن ذلك قولهم : (فاق) من الإغماء وغيره ثلاثياً ، والصواب (أفاق) رباعياً كما قال الله سبحانه : ﴿فلما أفاق قال سبحانك﴾ [٢] ، وأما فاق الثلاثى فانما معناه غلب ، تقول : زيد يفوق عمراً حسناً أى يغلبه .

ومن ذلك قولهم : (إشفة) للآلة المعروفة ، فينقصون منه ، والصواب (إشْفَى) بهمزة مكسورة قبل الشين [٣] .

ومن ذلك قولهم : (ميدة) والصواب (مائدة) بألف ثابتة كما نطق به القرآن [٤] .

ومن ذلك قولهم للولد فى بطن أمه (جنى) والصواب (جنين) بنون بعد الياء على وزن فَعِيل ، وهو بمعنى مفعول ، أى مستور من جَنَّهُ الليلُ إذا ستره ، ومنه أُسْمِى الترس مِجَنًّا لستره صاحبه .

ومن ذلك قولهم : (داود وطاوس) ينطقون بهما بواو واحدة ، والصواب أن يُنطق بهما بواوين ويكتبان بواو واحدة ، كما قال [٥] :

بلدٌ أعارته الحمامةُ طوقَها   وكساه ريش جَنَاحِه الطاوسُ

[١] هذا أيضاً من اللحن القديم فى بلاد المغرب ، يثبته أن سكان جزيرتى (مالطة) و (قوصرة) من جزائر البحر المتوسط الغربى ما زالوا يقولون (ساس) ولا يخفى أن لهجتهما بقيت عربية أو شبيهة بها ، وهذا دليل على أن اللحن المشار اليه قديم جدا فى اللجهة التونسية

[٢] سورة الأعراف ١٤٢

[٣] قيل لم يأت فى كلام العرب كلمة على أفعل الا أشفى الخراز والجمع أشافى (مزهر ٢/٥٦)

[٤] ذكر الحريرى : «أنهم يقولون لما يتخذ لتقديم الطعام عليه (مائدة)» . . وقد أجاز بعضهم أن يقال فيها (ميدة) واستشهد عليه بقول الراجز :

وميدة كثيرة الألوان
تصنع للجيران والاخوان

(راجع درة الغواص ص ١١ — والشريشى على المقامات ٢ / ٢٣٥)

[٥] البيت من قول ابن اللبانة الأندلسى بصف مدينة ميورقة بشرق الأندلس ، وبعده :

فكأنما الأنهار منه مدامة
وكأن ساحات الديار كؤس

وقال آخر :

كأن نذير الشيب يحكى بشرّه على بن داود أخى ونسيبى

(باب ما جاء مذكراً وهم يؤنثونه)

من ذلك الحجر ، واحد الحجارة — يؤنثونه فيقولون : حجرة صغيرة وحُجيرة والصواب حجر صغير وحُجير بلا تاء ، كما قالوا (الحجر الأسود) ولم يقولوا السوداء .

ومن ذلك قولهم : طلعت القمر فيؤنثون القمر ، والصواب : طلع القمر ، لأن القمر مذكر ، قال الله تعالى ﴿ وخُسِفَ القمر ﴾[١] و ﴿ والقمر قَدَّرناه منازل ﴾[٢] .

ومن ذلك تأنيثهم الموْت — وهو مذكر — قال الله تعالى ﴿ قل ان الموت الذى تفرون منه ﴾[٣] .

ومن ذلك تأنيثهم البيت ، يقولون : بيت حسنة ، وبيت واسعة ونحوه ، والصواب بيت واسع ، ونحوه ، لأن البيت مذكر ، قال الله تعالى ﴿ فلْيعبدوا ربَّ هذا البيت ﴾[٤] وقال حازم يصف فرساً[٥] :

كــأنه والراسـياتُ حــولَــهُ مُحْـدِقَةٌ بيتٌ منيـفٌ ذو جَهَى

ولم يقل منيفة ولا ذات جهى .

(باب ما يضعونه غير موضعه)

من ذلك قولهم (غانية) للمرأة المغنية فيضعون هذا اللفظ غير موضعه ، لأن الغانية إنما هى المرأة الجميلة ، كأنها غنيت بجمالها عن الزينة أى استغنت ومنه قول حازم[٦] :

كم زرتُ فى تلك المغانى الغُرِّ من غانِيـةٍ تنظُرُ عن عينَىْ رَشـا

وورد عجز البيت أول هكذا :

كساه حلة ريشه الطاؤس

وكلامه عن : داود وطاوس — منقول من أدب الكاتب ص ١٨٤

(١) سورة القيامة ٨

(٢) سورة يس ٣٩

(٣) سورة الجمعة ٨

(٤) سورة قريش ٣ ، ويظهر أن وجود التاء فى آخر الكلمة هو الذى حمل العامة على اعتبارها مؤنثة قياسا منهم على : (أخت) و (بنت)

(٥) البيت فى شرح مقصورة حازم ج ١ : ١٣٨

(٦) البيت فى شرح مقصورة حازم (ج ١ : ١٨٢)

وقول المبرد فيما يعزى إليه :

حبذا ماء العنا قيد بريق الغانيات

ومن ذلك قولهم (اللَّمّة) يطلقونها على اللحية ، وليست اللمة فى كلام العرب اللحية ، إنما اللمة ما أُلِمّ بالمنكب من الشعر .

ومن ذلك (الاجاص) يطلقونه على الكمثرى ، وإنما الإجّاص عين البقر ذكره الشريف الصقلى [1] ، والثمرة التى يطلقون عليها الانجاص إنما اسمها الكمثرى .

ومن ذلك قولهم فى المرأة السارقة (فَرّاكة) فيضعون هذه اللفظة غير موضعها ، وإنما معنى (الفَرّاكة) فى المرأة المبغضة لزوجها كأنه مبالغة فى فاركة ، يقول : فَرِكَت المرأة زوجها — بالكسر تَفْرَكُه — بالفتح — فركاً أى أبغضته فهى فاركة وهو رجل مفرك .

ومن ذلك إطلاقهم الكَرْمَة على شجرة التين ، وليست الكرمة فى اللغة شجرة التين ، وإنما الكرمة شجرة العنب ، وقد نبه على هذا الخطأ التجانى فى رحلته [2] .

[1] يعنى بالشريف الصقلى : محمد بن عثمان الشريف الطبيب التونسى من علماء القرن التاسع وأحد أفراد أسرة الصقليين الأطباء على عهد الدولة الحفصية ونقل المؤلف هنا من كتابه المسمى « الطب الفارسى » الذى ألفه فى سنة ٨٠٠ هـ (١٣٩٤ م) برسم السلطان أبى فارس عبد العزيز الحفصى ، وعبارته فيما يخص الاجاص : « وهو المعروف عند الناس بتونس بالعين ويقال عين البقرة » (مخطوط بمكتبتى) ومما يستدرك عليه فى كلمة « أجاص » أن أهل تونس ينطقون بها « انجاص » وهى فيما يظهر لغة يمنية قديمة شائعة فى الأقطار التى استوطنها اليمانيون فى زمن الفتح العربى ، يؤيده ما رواه ابن السيد البطليوسى حيث قال : وقد حكى اللغويون أن قوماً من أهل اليمن يبدلون الحرف الأول نوناً فيقولون « انجاص » و « انجانة » يريدون : اجاص واجانة . . . وانما ذكرنا هذا ليعلم أن لقول العامة مخرجاً على هذه اللغة (الاقتضاب ص ١٩٥)

[2] يشير الى ما جاء فى كتاب رحلة أبى محمد عبد الله التجانى التونسى من علماء القرن الثامن للهجرة حيث يقول عند ذكره لطرابلس « فانهم يسمون شجرة التين الكرمة ، والكرمة فى اللغة انما هى شجرة العنب ، وقد جاء النهى عن تسميتها بذلك فى الحديث الصحيح » (رحلة التجانى ط. تونس سنة ١٣٤٥ ص ١٧٧) — وأقول : ربما كان هذا النهى الوارد فى الحديث هو السبب الأصلى فى اطلاق العامة اسم الكرمة على شجرة التين ، والا فلا معنى لهذا التغيير — واطلاق اسم الكرمة على شجرة التين . هو اصطلاح شائع بين عموم أهل المغرب ما عدى الأندلس فان (الكرمة) عندهم كانت عبارة عن الجنان المشجر بأنواع الفاكهة ، وقد اقتبست اللغة الاسبانية هذا اللفظ وصيرته بالمعنى المتقدم

ومما أورده ابن قتيبة فى هذا الباب قول العامة : (أشفار العين) الشعر الثابت على حروف العين ، قال : وهو غلط ، وإنما الأشفار حروف العين التى ينبت عليها الشعر ، والشعر هو (الهُدْب) [١] .

وقولهم (الحشمة) بمعنى الاستحياء ، يقولون الحياء والحشمة ، قال الأصمعى : وليس كذلك إنما هى بمعنى الغضب ، وحكى عن بعضهم : ان ذلك لما يحشم بنى فلان ، أى يغضبهم [٢] .

ومن ذلك قولهم (صديد) الحديد وما أشبهه لما يعلو عليه ، والصواب (صدا) الحديد وشبهه بالهمز والقصر ، كما قال :

فأما إذا ركبوا فالوجوه   فى الروع من صدا البيض حُمْ

وقال بعض المحدثين :

وفتيان سَرَوْا والليلُ داجٍ   وضوء الصبح مُتَّهم الطلوع
كأن بُزاتهم أمراءُ جيشٍ   على أكتافها صداء الدروع

وأما الصديد فهو القيح المخلوط بالدم .

ومن ذلك (الجبينُ) يطلقونه على الجبهة ، وليس الجبين الجبهة ، وإنما الجبين فوق الصدغ وهما جبينان ، عن يمين الجبهة وشمالها [٣] .

(١) وزاد ابن قتيبة فى بيانه . . « فان كان أحد من الفصحاء سمى الشعر شفرا فانما سماه بمنبته ، والعرب تسمى الشىء باسم الشىء ان كان مجاوراً له أو كان منه بسبب (أدب الكاتب ص ١٨)

(٢) هذا قول الأصمعى كما ذكر عنه وقد ذكر غيره ان الحشمة تكون بمعنى الاستحياء ، وروى عن ابن عباس انه قال : لكل داخل دهشة فابدأوه بالتحية ولكل طاعم حشمة فابدأوه باليمين . وقال الطرماح :

ورأيت الشريف فى أعين النا
س وضيعاً وقل منه احتشامى

وقال كثير :

أنى متى لم يكن عطاؤهما
عندى بما قد فعلت احتشم

واستعمل المتنبي الاحتشام بمعنى الاستحياء ، قال :

ضيف الم براسى غير محتشم
السيف أحسن فعلاً منه باللمم

(الاقتضاب ص ١٠٨)

(٣) هذا منقول عن ابن قتيبة (ادب الكاتب ص ٣٣)

ومن ذلك قولهم للذى يعلو الماء (خزّ) وليس الخز عند العرب هو ذلك الشىء ، وإنما الخزّ نوع من الثياب ، والصواب أن يقال فيما يعلو الماء (الطَّحْلَب) وقد نبه على ذلك الشريف الصقلى فى تأليفه فى الطب [1].

ومن ذلك قولهم (المغانى) يذهبون به إلى معنى الأغانى جمع غنى الذى هو التطريب فى الصوت فيخطئون ، وإنما المغانى فى لغة العرب المنازل جمع مغنى ، وهو المكان الذى أقام به أهله ، والصواب أن يقال فى الذى يراد به الغنى والصوت (أغانٍ) ، ومما وقع فيه ذكر المغانى قول المتنبى [2] :

مغانى الشعب طِيباً فى المغانى ... بمنزلة الربيع من الزمان

وإلى هذا أشار حازم فى قوله [3] :

تَغْشَى بها مَغانِياً مَنْ يرها ... يجعلْ لها مغانى الشَّعب فِدا

أى منازل الشعب ، ومراده بالشعب (شعب بَوَّان) الذى بأرض فارس [4] وهو من الأماكن المشهورة بالحسن وكثرة الأشجار وتدفق المياه وكثرة الأطيار ، قال أبو العباس أحمد بن يزيد المبّرد : كنت مع الحسن بن رجاء بفارس فخرجت إلى شعب بوّان فنظرت إلى تربة كأنها الكافور ورياض كأنها الثوبَ الموَشَّى وماء ينحدر كأنه سلاسل الفضة على حصباء كأنها حصا الدر ، فجعلت أطوف فى جنباتها وأدور فى عرصاتها فاذا فى بعض جدرانها مكتوب :

إذا أشرف المكروب من رأس تلعة ... على شعب بوّان أفاق من الكرب

وألهاه بطن كالحرير لطافة ... ومطرد يجرى من البارد العذب

(١) تقدم قريباً ذكر الطبيب الشريف الصقلى وكتابه وقد جاء فيه «والطحلب شىء يتولد فى مستقر المياه وتعرفه العامة بالخز» (المختصر الفارسى ، خط بمكتبتى) — وقال البطليوسى : العرمض والطحلب والعلفق سواء ، وهى الخضرة تكون على الماء (الاقتضاب ص ٢٩٦)

(٢) البيت من مطلع قصيدة فى مدح عضد الدولة ويذكر فيها شعب بوان (راجع العرف الطيب ص ٥٨٩)

(٣) البيت فى شرح مقصورة حازم ١ : ١٦٩

(٤) هذا الفصل فى شعب بوان منقول برمته من شرح مقصورة حازم للشريف الغرناطى ج ١ ص ١٧٠

وطيب رياض فى بلاد مريعة　　وأغصان أشجار جناها على قرب
يدير علينا الراح من لو لحظته　　بعينيك ما لمت المحبين فى الحب
فبالله يا ريح الشمال تحملى　　إلى شعب بَوان سلامَ فتى صب

قال أبو العباس : فأخبرت سليمان بن وهب بما رأيت ، فقال : قد رأيت تحت هذه الأبيات :

ليت شعرى عن الذين تركنا　　خلفنا بالعراق هل ذكرونا
أم يكون المدى تطاول حتّى　　قدم العهد بيننا فنسونا
إن جفوا حرمة الصفاء فانا　　لهم فى الهوى كما عهدونا

ومن ذلك قولهم : (الثَّنِيَّة) يطلقونها على الطريق مطلقاً ، وهو خلاف كلام العرب ، وإنما الثنية فى كلامهم الطريق فى الجبل خاصة [1] ، قال سُحَيْم الرياحى :

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا　　متى أضع العمامة تعرفونى

وإنما أراد أنه جلد يطلع فى ارتفاعها وصعوبتها :

من ذلك قولهم : ملّحْتُ السمك والقدر ونحوه — بتشديد اللام — والصواب : مَلَحْتُ — بتخفيف اللام — وإنما معنى ملّحت — بالتشديد — أكثرت فيها الملح حتى أفسدتها .

ومن ذلك قولهم فى شارب الخمر : خَمّار ، فيضعون هذا اللفظ فى غير موضعه ، لأن الخمّار إنما هو بائع الخمر على طريق النسب إلى الحرفة كفران وعطار لا شاربها ، والدليل على ذلك قول الشاعر [2] :

وخَمَّارة من بنات اليهو　　د ترى الزقّ فى بيتها شائلا
وزنّا لها ذهباً جامدا　　فكالت لنا ذهباً سائلا

(١) أحسب اطلاق (الثنية) على الطريق فى اللهجة الحضرية التونسية انما تسرب اليها من لغة الأعراب الهلاليين ، فان هذه الكلمة لم تكن مستعملة بهذا المعنى قبل نزوحهم للبلاد ولا أثر لها فيما قبل القرن السادس ، ومثل هذه الاقتباسات كثيرة فى لغة التخاطب فى تونس لا سيما فى شؤون البادية ، وقد يقع العكس مراراً .

(٢) روى الشريف الغرناطى البيتين ونسبهما الى ابن المعتز ولا وجود لهما فى المطبوع من ديوانه (شرح مقصورة حازم ١ / ٧٢)

فالمراد بالخمّارة بائعة الخمر بدليل قوله وزنّا لها ذهباً جامدا البيت ، فانما يعنى بالذهب الجامد الثمن الذى دفعه لها ويعنى بالذهب السائل الخمر التى دفعته اليهودية البائعة ، وقال الآخر فيما يشبه هذين البيتين[١] :

وخمّارٍ أَعَدّ الكأسَ ظِئرا لِطارقِه فلم يَرضعه غَيْلا
أُوَقّيه خلاصَ التبرِ وزنا فَيُسْبِكُهُ ويعطينيه كَيْلا

فالخمّار ههنا أيضاً البائع .

ومن ذلك قول المتكلم وحده : أنا نأ كل ، ونضرب زيداً ونحو ذلك ، فيضعون ما للجماعة فى موضع الأفراد ، والصواب أن يقول المتكلم إذا كان منفرداً : أنا أفعل ، وأخرج وما أشبهه – بالهمز لا بالنون[٢] – كما فى قوله تعالى ﴿ قل إنى أخاف الله إن عصيتُ ربى ﴾[٣] .

ومن ذلك قولهم لترك الزينة : (حُزْن) فيضعون هذه اللفظة غير موضعها لأن الحزن إنما هو الهم والغم وإن كان صاحبه متزيناً ، والصواب أن يقال فى ترك الزينة لأجل موت زوج أو قريب إحداد أو حداد لا حزن ، يقال حَدَّت المرأة وأحدّت فهى حادّ ومحدّ ، وأنكر الأصمعى الثلاثى ، وفى الحديث (لا تحدّ المرأة فوق ثلاث ولا تحدّ إلا على زوج) وذكرت فى لفظ الاحداد ما حكى فى « الإحاطة » عن ابن الحداد[٤] ، أنه كان مات له بعضُ من يعز عليه فتحين خسوف البدر وأنشد مخاطباً له :

شقيقك غيب فى لحده وتشرق يا بدر من بعده
فهلا خسفت فكان الخسو ف حداداً لَبِسْتَ على فقده

فما أستتم من إنشاد البيتين حتى خسف البدر فعجب من حضر منه .

« انتهى »

[١] البيتان منسوبان الى ابن حجاج من شعراء الأندلس ، كما أثبته الشريف الغرناطى (شرح مقصورة حازم ١ / ٧٢)

[٢] تقدم الكلام على ابدال ألف المتكلم بنون فى المضارع فى جميع اللهجات المغربية ، فليراجع

[٣] سورة الأنعام ١٥

[٤] أورد لسان الدين بن الخطيب هذه الحكاية ضمن ترجمة ابن الحداد فى كتاب «الاحاطة فى أخبار غرناطه» ج ٢ ص ٢٥١ ط . مصر ١٣١٩ — وابن الحداد هو محمد بن أحمد الوادى آشى من شعراء الطوائف فى الأندلس وكان يعيش فى آخر القرن الخامس فى خدمة المعتصم بن صمادح التجيبى أمير المرية


30 SEP 2012
Circulation Dept.